كتاب في جريدة
أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996
عدد 69 الأربعاء 5 أيّار/مايو 2004

مختارات شعرية

عمر أبو ريشة

رسوم فاتح المدرّس




الشريك الثقافي



المؤسسة الراعية

الإنطلاقة الجديدة لـ "كتاب في جريدة"

كان يوم ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٣ يوما مشهودا في مسيرة المشروع الثقافي الكبير"كتاب في جريدة" حيث شهد فندق موفنبيك في بيروت الإجتماع الأول للإنطلاقة الجديدة للمشروع الذي توقف لعشرة شهور بسبب شحة التمويل إلى أن امتدت يد رجل الأعمال العربي السعودي الشيخ محمد بن عيسى الجابر لإنقاذ "كتاب في جريدة" وإعادة انطلاقته في ثوب وشكل وروح جديدة ولمدة خمس سنوات قادمة، وليضيف بذلك عملاً جليلاً لأعماله المتشعبة في خدمة الثقافة العربية، يفعل ذلك باقتناع وإخلاص وصدق انتماء لعروبته وثقافته العريقة.

كان اللقاء الذي دام ثلاثة أيام ليس احتفاليا بالمظهر فحسب، وإنما إنعاشا للآمال وإعادة للكتاب العربي لملايين القراء في الوطن العربي الذي يلتقون مرة أخرى مع "كتاب في جريدة" يوم الأربعاء الأول من كل شهر من خلال صحف مختارة في أرجاء الوطن العربي، لينهلوا من المعرفة، ويزدادوا ارتباطا بثقافتهم وأفكار ونتاج مبدعيهم، في زمن هم أحوج ما يكونون فيه إلى تأكيد الإنتماء والإرتباط بالجذور الثقافية العربية والإسلامية.

كان اللقاء حافلاً بالنخبة التي حضرته برعاية معالي الأستاذ غازي العريضي وزير الثقافة اللبناني ومشاركة الدكتور أحمد الصياد مساعد المدير العام لليونسكو للشؤون الخارجية والتعاون والأستاذ الشاعر شوقي عبد الأمير المؤسس والمشرف العام على المشروع وأعضاء الهيئة الإستشارية ومن بينهم الشعراء أدونيس ومحمود درويش والدكتور جابر عصفور والدكتور سمير سرحان ورؤساء تحرير الصحف العربية المساهمة في نشر المشروع ونخبة من المفكرين والأدباء والشعراء والمثقفين والمهتمين بالكتاب.

وكان في مقدمة كل هؤلاء ممول المشروع وصاحب الفضل في إعادة الحياة إليه معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر الذي أسر جميع الحضور بحسن رعايته وتواضعه واهتمامه الصادق بالمساهمة الفعالة بالثقافة العربية.

وإلى لقاء متجدد في كل شهر للسنوات الخمس القادمة التي نأمل أن تمتد لسنوات أخرى إن شاء الله.

عن جريدة الراية - الدوحة





الشيخ محمد بن عيسى الجابر



د. أحمد الصياد

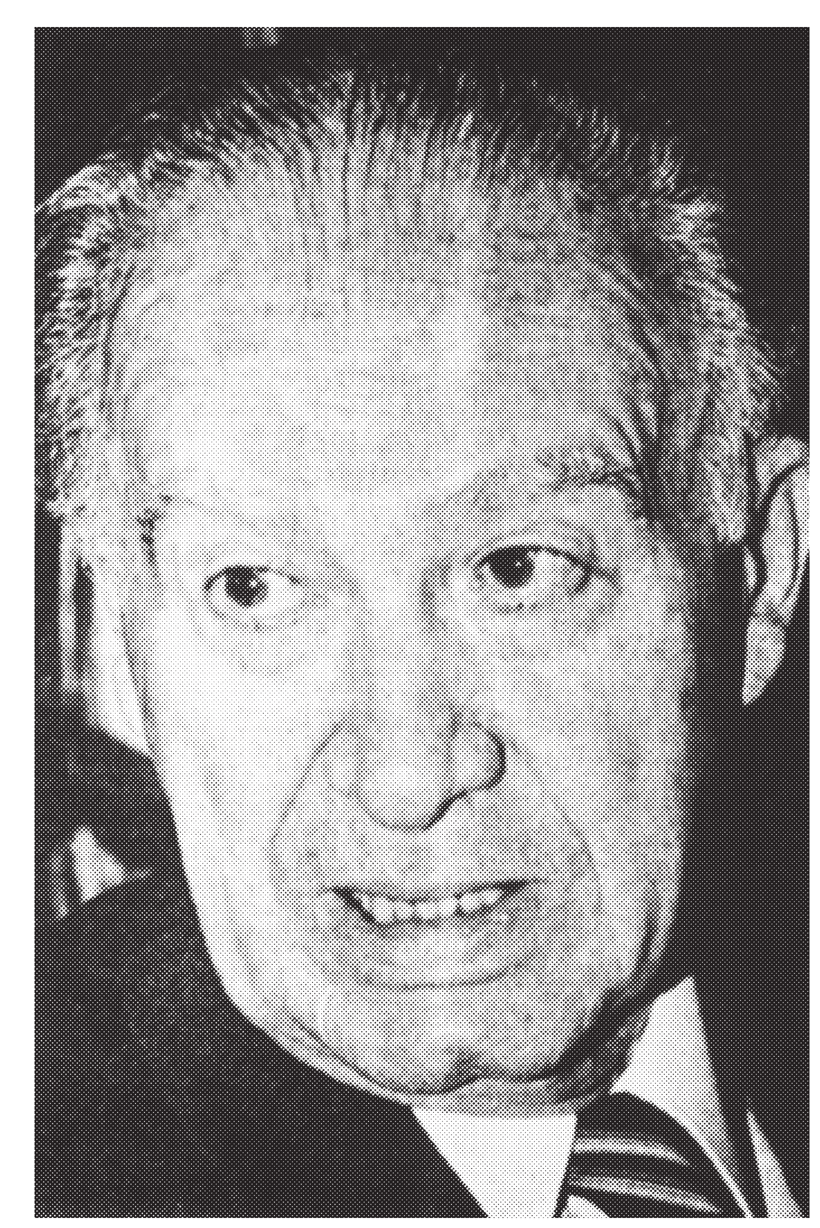




الأستاذ غازي العريضي وزير الثقافة اللبنانية



الشاعر شوقي عبد الأمير



عمر أبو ريشة ١٩٠٩-١٩٩٠

إنه الشاعر الكبير عمر بن شافع أبو ريشة، ولد عام ١٩٠٩ في بلدة (جرابلس) السورية، شمال مدينة حلب وكان أبوه قائم مقام عليها، وقد اكتنفت حياته الوظيفية فترات أثارت حفيظة الدولة العثمانية، فقد كان يساعد في الخفاء بعض الجماعات من الذين تعدهم أعداءها، بيد أنها لم تنجح في ضبطه متلبساً بتلك المخالفات الخطيرة، فاكتفى العثمانيون بتجميد وضعه الوظيفي إلى أن دالت دولتهم وبقي هو في عمله إلى أن أحيل إلى التقاعد أيام الانتداب الفرنسي.

في الأربعينيات كان الشاعر عمر أبو ريشة في طليعة الشباب الوطنين المناضلين ضد الاحتلال الفرنسي لوطنهم، الأمر الذي كان يعرّضه لمضايقات مستمرة... من إستدعاء للمخافر... وتوقيف في مراكز الشرطة... إضافة إلى اختبائه في بيوت أصدقائه ومحبّيه في الأحياء الشعبية التي كان يصعب على جنود الاحتلال اقتحامها دون مصادمات عنيفة... وكثيراً ما كان بعض أقاربه يضطرون إلى نقله من مخبأ إلى آخر وقد ألبسوه ثياب النساء مخافة أن يقع في أيدي الفرنسيين... لكن تلك العذابات كانت تزيده إصراراً على متابعة الجهاد مع أبناء شعبه من أجل طرد المحتلين الأجانب من البلاد... وتحقيق استقلال الوطن وحريته!

وقد كان عمر أبو ريشة منذ بداياته الشعرية من أحرص الناس على اتباع قوانين اللغة والتمسك بأوضاعها ومميزاتها الخاصة، أما البيان فقد كان في نظره كما صرح لصحيفة "برق الشمال" التي كانت تصدر في حلب آنذاك: "البيان هو تصوير المعنى القائم في النفس تصويراً صادقاً يمثله في ذهن السامع كأنه يراه ويلمسه، ولا يزيد على ذلك شيئاً، فإن عجز الشاعر عن أن يصل بسامعه إلى هذه الغاية فهو إن شئت أعلم العلماء أو أفضل الفضلاء أو أذكى الأذكياء، لكن ليس بالشاعر!".

وقد قال أيضاً: "ليس من المعقول أن ينظم الشعراء الشعر في هذا العصر باللغة التي كان ينظم بها امرؤ القيس وطرفة بن العبد وأبو العلاء المعري، وأحسب أنهم لو بعثوا اليوم من أجداثهم لما كان بدّ لهم من أن ينزلوا إلى عالمنا الذي نعيش فيه ليخاطبونا بما نفهم، ولكن بلغة عربية سليمة!".

ورغم شغف شاعرنا بجمال المرأة، وكثرة قصص وحكايات الهيام بها في شعره، فإنه كان رب عائلة مثالي، يكنّ كل الحب والوفاء لزوجته، وقد صرّح لمجلة "الأسبوع العربي" بما يتعلق بهذا الموضوع قائلاً: "الحبيبة العظيمة كانت وتبقى زوجتي، رغم تشردي الطويل، وما كان لي من غزوات مجنحة في دنيوات الحب العابر!".

ولعل فرحة جلاء الفرنسيين عن وطنه سورية عام ١٩٤٧ كانت من أعظم الأحداث وأبهجها في حياة عمر أبو ريشة، وإذا ما كان أكبر شعراء البلاد في تلك الفترة كبدوي الجبل وشفيق جبري وبدر الدين الحامد ومدحة عكاش وغيرهم قد أهدوا تلك المناسبة أجمل قصائدهم... فإن قصيدته "عروس المجد" المكرّسة لعيد الجلاء لا تنفكّ ترنّ في آذان الشعب السوري لتذكّره بهذا الشاعر الكبير الذي انتقل إلى دار البقاء عام ١٩٩٠ مخلّفاً للمكتبة العربية ديواناً من الشعر الملهم تعتز به مدى الدهر!!

قد آمن عمر أبو ريشة طوال حياته بأن الشعر والحرية صنوان متآخيان، وبأنه من شروط احترام الشعر أن يتمتع بحق حريته في التعبير بعيداً عن كل مقولات أو مداخلات أخرى، وأوضح أن هذا الفيض من الالهام الانساني له خصوصيته المقدسة التي يجب ألا يعبث بها أصحاب المصالح من العاجزين عن إدراك المعنى السامي للشعر... وكان يقول لنا الشعر هو الحرية، فلا يجوز أن نقيّده بالسلاسل... ومن العبث أن ندخله سجون النظريات... إنه يخرج من السحب لينتقم لحريته... فينفلت على هواه... ومن غرائبه أنه قد يهز الممالك والعروش، وقد يشعل الثورات ويذكي الحروب... لكنه قد يقف منهزماً أمام طرف كحيل.

صحيح أيضاً أن عمر أبو ريشة كان شاعراً واقعياً، لكنه كان صاحب رأي محدّد بالشعر الملتزم... وقد كان يقول: "أحترمه إذا كان صادراً عن نفس صاحبه ولا أحترمه إذا كان مفروضاً عليه من الخارج، أعطوني أدباً جميلاً بالطريقة التي تريدون وخذوا مني كل الإعجاب".

أما عن الشعر الحديث فكان يقول: "لا شك من أن الحداثة هي مطلب الفن، وإذا كان الشاعر يفيد من التراث، فإن عليه أن يكون نفسه في ساعة الخلق... أي أن يعطي من ضمن الأيام التي يعيش".

أما عن اشتغاله بالسياسة، فإن عمر أبو ريشة لم يلج بابها من مسالك ضيقة، ولا من خلال عنعنات حزبية شوهاء، لكنه مارسها من منطلق وطني صريح وإحساس قومي مرهف، وتعامل معها بأمانة المواطن الصادق مع شعبه ونفسه قبل كل شيء، مؤمناً بأمته العربية الواحدة، مستلهماً تاريخها المجيد مفصحاً عن روح حضارتها الخالدة.

هذا هو الشاعر العربي الكبير عمر أبو ريشة الذي غادرنا إلى جوار ربه عام ١٩٩٠ وقد جاوز الثمانين من عمره بعد أن شنّف آذان العرب طوال أكثر من نصف قرن بالروائع من قصائده التي تروي قصة حياة فنان مرهف أحبّ وطنه وأخلص لأمته، وأغنى مكتبتنا العربية بديوان من الشعر الأصيل الصادق.

حسين راجي

فاتح المدرّس ١٩٢٢ - ١٩٩٩

من مواليد حلب. أحد أبرز رموز الحداثة في الفن التشكيلي السوري والعربي المعاصر. درس في دمشق وروما (١٩٥٤ - ١٩٦٠) وباريس (١٩٦٩ - ١٩٧٢). تميّز بأسلوبه التعبيري الخاص، حيث يرسم بشكل أساسي النساء والفلاحات، متأثّراً بالأساطير السورية العريقة. حاز على العديد من الجوائز وعرض في متاحف عدّة حول العالم. مارس التدريس الأكاديمي حتى سنة ١٩٩٣ وتخرّج على يديه الكثير من الفنانين. له أيضاً بعض المؤلّفات في الشعر والأدب.

الراعي
محمد بن عيسى الجابر
MBI FOUNDATION

المؤسس
شوقي عبد الأمير

المدير التنفيذي
ندى دلّال دوغان

الإستشارات الفنية
صالح بركات
غاليري أجيال، بيروت.

المَقَّر
بيروت، لبنان
* **يصدر بالتعاون مع وزارة الثقافة**

تصميم و إخراج
Mind the gap, Beirut

سكرتاريا وطباعة
هناء عيد

المطبعة
پول ناسيميان،
پوميغرافور برج حمود بيروت

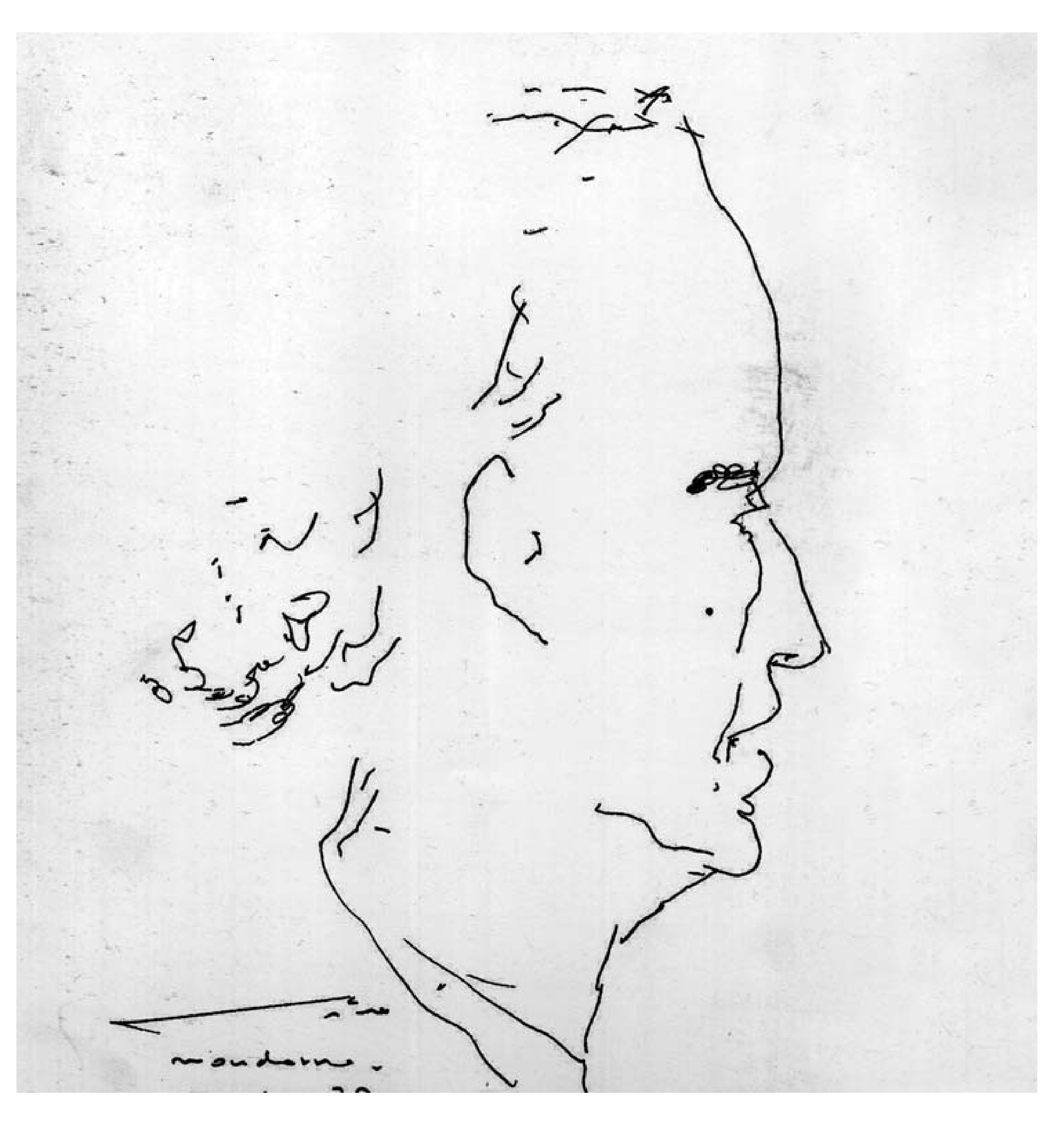
الإستشارات القانونية
"القوتلي ومشاركوه - محامون"

الإستشارات المالية
ميرنا نعمي

المتابعة والتنسيق
محمد قشمر

كتاب في جريدة
العدد الرابع للإنطلاقة الجديدة
التسلسل العام: عدد رقم 69
(5 أيّار 2004)

ص.ب 1460 - بيروت، لبنان
تلفون 601 798 (1-961+)
فاكس 614 791 (1-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb



عمر أبو ريشة

مختارات شعرية

بعد النكبة...

(١٩٤٨)

أمــتــي، هــل لك بــيــن الأُمم
مــنــبــرٌ لــلسّــيــفِ أو لــلــقــلــم
أتــلــقــاكِ وطَــرفــيَ مــطــرقٌ
خجلاً مِن أَمْسِكِ المنصرمِ
ويكـادُ الـدّمعُ يـهـمي عـابثـاً
بـبـقـايـا كِـبـريـاءِ الألـمِ!
أيـن دنْـيـايَ الـتـي أوحتْ إلـى
وتـري كـلَّ يـتـيـمِ الـنـغـمِ
كـم تـخـطَّـيتُ عـلـى أصدائِـهِ
مـلـعبَ العز ومغنى الشَّـمـمِ
وتــهــاديتُ كــأنــي ســاحبٌ
مـئـزري فـوق جباهِ الأنـجُـمِ

* * *

أمــتــي! كــم غـصـةٍ دامـيـةٍ
خَنقتْ نجوى علاكِ في فمي
أيُّ جـرحٍ فـي إبـائـي راعـفٌ
فـاتَـه الآسـي، فـلـم يـلـتـئـمِ
ألاسـرائـيــل تـعـلــو رايــةٌ
في حمى المهدِ وظلِّ الحرمِ!
كـيـفَ أغضي على الذلّ ولم
تـنـفضي عنك غـبـار الـتُّـهـمِ
أومـا كـنتِ إذا البـغـيُ اعـتـدى
مـوجـةً مـن لـهـبٍ أو مـن دمِ
فِـيـمَ أقدمتِ؟ وأحـجـمتِ ولـم
يشتـفِ الـثـأرُ ولـم تـنـتـقـمي
اسمعي نَوْحَ الحزانى واطرَبي
وانظُري دَمْعَ اليتامى وابسمي
ودَعـي الـقـادةَ فـي أهـوائِـهـا
تـتـفانى في خَسيسِ المَغْنَمِ!
ربَّ «وامعتصماهُ» انطلقتْ
مـلءَ أفـواه الـبـنـات الـيُـتّـمِ
لامستْ أسـمـاعَـهـم لـكـنَّـهـا
لم تُلامِسْ نـخـوةَ المعتصمِ!
أُمـتـي! كـم صَـنـمٍ مـجَّـدْتـهِ
لـم يكـنْ يحـمِلُ طُهرَ الصَّنمِ!
لا يـلام الـذئبُ فـي عـدوانـه
إن يك الـراعـي عـدوَّ الـغـنـمِ!
فاحبسي الشكوى فلولاك لما
كان في الحُكم عبيدُ الدرهمِ!

* * *

أيها الجندي يا كبش الفدى
يـا شـعـاع الأمـل الـمـبـتـسمِ!
مـا عـرفتَ الـبـخـل بـالروح إذا
طلبتها غصص المجدِ الظمي
بُـوركَ الـجـرحُ الـذي تَـحـمـلُـه
شـرفـاً تـحت ظِـلال الـعـلـمِ!

صلاة...

(١٩٤٨)

ربِّ طـوَّقتَ مـغـانـيـنـا
جـــمـــالاً وجـــلالاً
ونَـشـرْتَ الـخـيـرَ فـيـهـنَّ
يـــمـــيـــنـــاً وشـــمـــالاً
وتــجــلــيتَ عــلــيــهــنَّ
صــلــيــبــاً وهــلالا!
ربِّ، هـــذي جـــنـــةُ
الـدنـيـا، عـبـيـراً وظـلالا
كـيـف نـمشـي فـي رُبـاهـا
الـخـضـرِ، تـيـهـاً واختـيـالا
وجـراحُ الـذلّ نـخـفـيـهـا
عــن الــعــزّ احــتــيــالا
ردَّهـــا قـــفـــراء، إن
شـئتَ ومـوِّجْـهـا رمـالا
نحنُ نهواها على الجدب...
إذا أعـــطتْ رجـــالا!!

حُماةَ الضيم . . .

(١٩٤٨)

عـاتبتـه ونسيتِ طيبَ نجارهِ
وأبيتِ أن تصغي إلى أعْذارهِ
تلك البقيةُ من سلافةِ حلمهِ
نَضَبتْ ولم تنقع غليلَ أوارهِ
أوما لمحتِ على كآبة صمته
ما شَقّتْ الأقدارُ من أسْتارهِ
كانت له خيلاؤه، أيامَ لم
تهتِكْ بناتُ الدّهر حرمةَ دارهِ
أين انطلاقَ خيالِه في ملعبٍ
روّى الجفونَ الرمّدَ من أنوارهِ
كم نجمةٍ وثبتْ لِتلثَمَهُ فلم
تظفرْ به، فتعلّقتْ بإزارهِ
ولكم تموَّج في صداهِ نديُّه
والعزُّ بين يَدَيهِ من سُمَّارهِ
غنَّى عريقَ فخاره حتى أتت
دُهُم الخطوبِ على عريقِ فخارهِ
فذري العتاب فإن يهزّكِ لَحنه
ما دام مغموساً بذل إسارهِ
لو شاء بثَّ شجونه لتكسرتْ
منها أصابِعَهُ على أوتارهِ
وطنٌ أذاب على هواهُ شبابَه
وحباه بالمأثور من أسعارهِ
ألمجدُ يَخجلُ أن يُجيلَ الطرْفَ في
ما هدَّم الجُبناءُ من أسوارهِ
فكأنّه من نِيلِه لِفراتِه
حَمَلٌ تَجاذَبَهُ يدا جزَّارهِ!
ما ذنبُ فِتْيتِه إذا شبَّتْ ولم
تلمحْ بتربَتِه خُطى أحرارهِ
تركتْ لها آباؤها الإرثَ الذي
يبقى مطوِّقَها بلعنةِ عارهِ
هلْ في روابي القدس كهفُ عبادةٍ
تحنو جوانبهُ على أحبارهِ
خَشَبُ الصليبِ على الرّمال مخضَّبٌ
بدِماءِ مَن نَعِموا بطيبِ جِوارهِ
فإذا سبيلُ الحقّ منفضّ الصُّوى
تاهتْ به الطلَقاءَ من زُوَّارهِ
وإذا قوافِله العِجافُ طريدة
والبغيُ يقذفُها بمارجِ نارهِ
كم مُتعبٍ جرَّ السنينَ وراءَه
ومشيبُه يَبكي جلالَ وقارهِ
متلفّتاً صَوبَ الديارِ مُودعاً
وخُطاه بين نهوضِهِ وعثارهِ
كم حُرَّةٍ لَم تدرِ عينُ الشمسِ ما
في خِدْرها، أغضتْ بطرف كارهِ
وبناتها وجلى، تضجُّ أمامها
والرّجس يدفعها إلى أوكارهِ
بمن استجارت هذهِ الزُّمرُ التي
مدَّ الزمانُ لها يدَ استهتارهِ
العُرْيُ ينشرها على أنيابه
والجوع يطويها على أظفاره
فَلَرُبَّ سكّيرٍ شدا مترنحاً
ودُموعها ممزوجةٌ بعقارهِ
ولرُبَّ متلافٍ أشاح بوجهه
عنها، وملء البيد سيل نُضارهِ
حسبت بناء العرب مسموكَ الذرى
تتحطم الأحداثُ دون جداره
فإذا البُناةُ ذليل وسادها
تغفو عن الشرف الذبيح وثاره!

* * *

مهلاً حُماةَ الضيم إن لليلنا
فجراً، سيطوي الضيم في أطمارهِ
ما نام جفنُ الحقد عنك وإنما
هي هَدْأةُ الرِئْبالِ قبل نفارهِ

عناد . . .

١٩٥٨

هذي الرّبى كم ضاق فيَّ فضاؤها
مالي على جنباتها أتعثَّرُ!
شبَّ الحصى فيها ودون زحامه
دربٌ يغيبُ وآخر يتكسَّرُ
وملاعبي ومجرُّ أذيالي بها
بَعدتْ، فما ترقى إليها الأنسرُ!
ما كنت أحسب أنها تتغيَّرُ!

* * *

والخمر، ويح الخمر، كان أقلها
يوري أمانيَّ الرحابَ ويسعرُ
ويطوف بي دنيا مخضلة الجنى
لا أنتقي منها ولا أتخيَّرُ
واليوم، لا وهجٌ، ولا أرجٌ بها
فكأنها من مزنةٍ تتحدرُ
ما كنت أحسب أنها تتغيرُ!

* * *

وأرى الشتاء تطاولت أيامه
وازداد عسفاً قلبه المتحجرُ
كم زارني وكشفتُ عن صدري له
فأقام لا يزهو ولا يتكبَّرُ
ما زلت أذكر كيف كان لهاثه
من دفْ أضلاعي يذوب ويقطر!
ما كنت أحسب أنه يتغيرُ!

* * *

وأتيت مرآتي وعطري في يدي!
فبصرت ما لا كنت فيها أبصرُ!
فخفضتُ طرفي، ذاهلاً متوجعاً
ونفرتُ منها عاتباً أستنكرُ
خانتْ عهودَ مودتي، فتغيرتْ
ما كنت أحسب أنها تتغيرُ!!

هيكلي . . .

١٩٥٧

هو ذا هيكلي! رجعتُ إليه
لأصلي وفي فؤادي حنيني
لَم أجد فيهِ روعةً من جمالٍ
أو جلالٍ بسحرها تطويني
قد تداعت جُدرانه وتهاوى
فوق محرابه غبارُ السنين!
هو ذا هيكلي! فيا وحشة الغربة
نامي على بقية عمري
طالعتني أطيافه من كوى الشوق
وغابت ما بين صحوي وسكري
وسمعت الحبَّ الشقيَّ ينادي:
يا حبيبي!! «فقلت يقصد غيري»

* * *

هو ذا هيكلي! فماذا حباني
بعد طول النوى ماذا رأيتُ
تَعِبتْ فيه ذكرياتي فنامت
وإذا شاء هزَّها لأبيتُ
فلتمسَّتُ في دجاه مكاني
«ثم أشعلت شمعتي... وبكيتُ»!

هكذا

«في ليلة واحدة أنفق أحد رعايا المحميات البريطانية
ستين ألف دولار على عشيقته...»
١٩٥٤

صاح يا عبدُ ... فرفَّ الطيبُ
واستعر الكأسُ وضجَّ المضجعُ!
منتهى دنياهُ، نهدٌ شَرِسٌ
وفمٌ سمحٌ؛ وخصرٌ طيِّعٌ
بدويٌّ، أورقَ الصخرُ له
بالسلسبيل البلقع
فإذا النخوة والكِبرُ على
ترف الأيام جرحٌ موجع...
هانت الخيلُ على فرسانها!
وانطوتْ تلك السيوف القُطَّع
والخيام الشمُّ مالتْ، وهوتْ
وعوتْ فيها الرياحُ الأربع

* * *

قال... يا حسناء ما شئتِ اطلبي
فكلانا بالغوالي مولع
أختكِ الشقراء، مدَّت كفَّها
فاكتسى من كل نجمٍ إصبع!
فانتقي أكرمَ ما يهفو له
معصمٌ غضٌّ وجيد أتلع!...
وتلاشى الطيب من مخدعه...
وتولاّه السبات الممتع
والذليل العبد، دون الباب،
لا يغمض الطرفَ ولا يضطجع!
والبطولات، على غربتها،
في مغانينا، جياعٌ خُشَّعُ
هكذا... تُقتحم القدسُ على
غاصبيها... هكذا تُسترجع!!





حكاية سمار...

ألقيت في مهرجان أمير الشعراء «الأخطل الصغير» في قاعة اليونيسكو، باسم الجمهورية العربية المتحدة، أيام كان الشاعر سفيراً لها في النمسا.

١٩٦١

هل في لقائكَ، للخيال الزائرِ
إغضاءُ سالٍ، أم تلفُّتُ ذاكرِ!
أشقتْهُ غربتُه ووثبةُ ظلِّهِ
عبرَ الأصيلِ... على ثراكَ العاطر
وحكايةُ السُّمَّارِ عن أوتاره
المتقطعاتِ وشملِهِ المتناثرِ!
كنتَ الحفيَّ به... وكان ولاؤه
وهواكَ، قادمتيْ جناحيْ طائرِ
كم من نديِّك من شموع شبابه
ما ذابَ بين مزاهرٍ ومجامرِ!
لا تجرحنَّ له بقيَّةَ زهوةٍ
إن لم يهزَّك بالطريف النادرِ
عبثُ الليالي لم يدع في حقله
إلاّ ادِّكارَ خمائلٍ وأزاهرِ!
لبنان... جئتك من غيابات السّرى
ويدي على دقات قلب حائرِ
وحفيف أشباح الونى في مسمعي
ورفيف أطياف المنى في ناظري
وإذا عروس... ما استقر رواؤها
إلا على متباينٍ متنافرِ
بسمت إليَّ... وما سمعت للمتَّي
الغبراء همسةَ وازعٍ أو زاجرِ
من أنتِ قلتُ لها... ففيك تقاتلتْ
شتَّى غوايات الفتون الآسرِ
أقبلتِ من صدر الربيع وقلت لي:
أتحبُّني؟ أتحبني؟ يا شاعري
أنا بدعة الدنيا وسرُّ خلودها
هُتكتْ على عُريْ الحياة ستائري
تتلمَّظُ الشهواتُ فوق محاجري
وتعربد اللذات خلفَ مآزري
وتسلسل النعماءَ حمرُ مراشفي
وتلفُّ جيد النجم شقرُ ضفائري!
حسناء! لا تقتربي من خاطري
طويَ البساط ونام جفنُ السَّامر!!
وفتحتِ أبوابَ الثراءِ، وقلتِ لي:
أتحبني؟ أتحبني؟ يا شاعري؟
لبنان ـ ما خبَّأتُ عنك نوازعي
أنا متعةُ العاني وفَيْءُ دروبه
وملاذهُ من كلّ صرفٍ غادرِ
ترمي بأكداس النُضار مواطئي
وتلفُّ جلبابَ الظلام جواهري
وأقيمُ حول ركاب عمركَ أعْبُداً
يتسابقون إلى نداك الآمرِ
حسناء! لا تتلاعبي بشعائري
حسبي من الينبوع جرعةُ عابرِ
وطلعتِ من حجبِ الغيوبِ وقلتِ لي:
أتحبني؟ أتحبني؟ يا شاعري؟
أنا فيضُ آلام ووحيُ ضلالةٍ
وسرابُ أحلامٍ وقبرُ ضمائرِ!
أقتاتُ بالجرح السخيِّ وأشتهي
لو قبَّلتْ شفتايَ مديةَ ناحري!!
لا تهتدي بسنا الشموس أحبتي
وتموت دون مواردٍ ومصادرِ!
حسناء! لا تتغيبي عن ناظري
هذي يدي... فتصرَّفي بمقادري!
كم مطبقٍ بابَ الخلود وراءَه
وشجونُه في الدربِ زادُ مسافرِ!
أتراكَ فيها عاذلي أم عاذري!
يُغنيك عني، أخوةٌ، ما غرَّدوا
إلاَّ وملءُ رباك ذَوْبُ حناجرِ!
شربوا جمالَكَ فانتشوا، وتأنقوا
في بثِّ نشوتهم، تأنُّقَ قادرِ
ولربما صاغوا سناه أساوراً
لمعاصمٍ وخواتما لخناصرِ!
جَمعتهمُ شيمُ الوفاء لماردٍ
في الشعر جوّابِ الأعالي قاهرِ
ضفروا له من دوحِ أرزكِ غارَه
أكرمْ بمضفورٍ له وبضافرِ!
هزَّ الشذا أعطافَهمْ فتساءلوا
من أي مخضلِّ الكمائم، ناضرِ
قد يذكر الندمانُ بين كؤوسهمْ
ما قال للعنقود سرُّ العاصرِ!
يا لليَدِ البيضاءِ! في مرِّ الندى
من زنبق في القفر نضْوِ هواجرِ!
ما اعتاد هذا الشرقُ أن يُهدي إلى
نبغائَه الأحياءِ، أجْرَ مناصرِ!

* * *

أمجنِّحَ الحرف الحرون ومرقصَ
الوتر الحنون على أناملِ ساحرِ!
الذكرياتُ على الزحامِ تدافعتْ
فكأنهنَّ لديك سرب ضرائرِ
فلأيِّها تومي براحةِ تائبٍ
ولأيِّها ترنو بمقلة غافرِ!
غامرتَ في طرق الحياة ولم تزلْ
طُرقُ الحياة حوافزاً لمغامرِ
فهصرْتَ زهرتَها بدمعةِ شاكرٍ
وعَصَرتْ شوكتَها ببسمة صابرِ!
من كان محرابُ الجمال مطافَه
حَمَلَ الحياةَ على أكف بشائرِ

* * *

كم جولةٍ لك في الصبابة والهوى
سدَّتْ مسالكَها حبائلُ ظافرِ



ولكم تخطّفك الخيالُ فعدتَ ـ
بالعشاقِ، من حرم الزمان الغابرِ!
«عمرٌ ونُعْمٌ» يا خيامُ تلفَّتي
صوبَ العبير ويا نجوم تسامري
نشرا شفوفَ الليل حول جدائلٍ
لمعانقٍ وسواعدٍ لمخاصرِ
يا طيبَ ما اختصرا رسالات الهوى
فيهِ ويا طيبَ الصدى المتطايرِ!
حبٌّ، طَوَتْه يدُ البلى ونشرتَه
وأعدْتَ ماضيه حديثَ الحاضرِ!

***

وشجاك، «عروةُ» وهو يسحب خلفه
في الرمل تابوتَ الشباب العاثرِ!
وخيال «عفراء» يمرُّ أمامه
والموتُ في ذلّ العنيدِ الصاغرِ!
فإذا مغاني البيد في ذكراهما
رفّاتُ أهدابٍ وبوْحُ سرائرِ
أشفقتَ أن ينسى الزمانُ مكانَها
فسلَلْتَها من أدمعٍ ومحاجرِ!

لحبُّ مجلى اللّه، كم من عابدٍ
ساهٍ بهيكله الوضيئ وساهرِ!
لبستْ عليه المجدليةُ خلعةً
بيضاء، باركها سماحُ النّاصري!
غنَّيتَه بجماله وجلاله
ورَوَتْه عنك حرائر لحرائرِ!
ما بال نعمته خَبَتْ نفحاتُها
في كأس عربيدٍ، ومزهرٍ فاجرِ!
تُرمى بمنسوبٍ إليه وربما
أنفتْ تلاوتَه شفاهُ عواهرِ!!

***

يا مطرقاً يصغي بخشعةِ راهبٍ
متواضعٍ ويغضُّ جفنَ تفاخُرِ
ما زلتَ تسحبُ فوق كل معاندٍ
ذيلَ الشموخ وفوق كلّ مكابرِ!
أَوَلستَ؟ من نسل الأُلى، نسلوا العلى
وكسوا دياجيرَ الورى، بمنائرِ
وتَطلعوا صَوبَ الشموس وأسرجوا
للفتحِ صهوةَ كل مهرٍ ضامرِ!

ومضوا إلى غاياتهم، ثم انثنوْا
وعلى خدودِ النّجم وشْمُ حوافرِ!
عرفتْكَ دنيا البغي صرخةَ ناقمٍ
يُزري بهيبتِها وغضبةَ ثائرِ
أيامَ، أعناقُ البلاد جريحة
بقيود نزّاز الضغينة، جائرِ
فهززتَ عزمةَ كل وانٍ مُتعب
وأثرتَ نخوةَ كل عانٍ سادرِ
فإذا الجبال الشمُّ لفْحُ معاقلٍ
وإذا السهول الفيح نَفحُ مقابر
وإذا العبودياتُ تخلع ليلَها
مِزقاً على قَدَمِ الصباح السافرِ!
لا يُحزننَّكَ ما ترى لفلولِها
في القدس من راعٍ لها ومؤآزرِ
أو ما تُعبِّئ في الصحارى من قنا
للقاءِ مخضوبِ الوشاح جزائري
أو ما تصبُّ على الخليج أكفُّها
من سودِ آثام وحُمرِ جرائرِ
هي سكرةُ المذبوح مال بعنقِهِ
ونزا على السكين نزوةَ خائرِ!!
أرأيتَ كيف تجمَّعتْ هَبَواتها
في عاصفات زمازمٍ وزماجرِ
وَعَدت على أرض الكنانة رعَّفَ ـ
الأحقاد شُرّاب النجيع الفائرِ
فمشى إليها كلُّ أروع غاضبٍ
وخطاه خوض ملاحمٍ ومجازرِ
هيهات ما لانتْ عقيدةُ مؤمنٍ
مهما تحدَّتها غوايةُ كافرِ
يا طولَ ما انهدَّ الحديدُ مبعثراً
قِطَعاً على خشب الصليب الطاهرِ!

***

ما للهدير على الهديل طغى وما
ليدي تشدُّ على جموح نافرِ
طال انتظارُ أحبَّتي وتَململوا
يا ملءَ أبصار لهم وبصائرِ
فاطلعْ عليهم إن دهرك تابَ عن
أهوائه وأتاك سمحَ الخاطرِ
يكفيك أن تلقاه يُطلع دولةً
من مجد أقلام وعزّ منابرِ
وترى الضلالَ على سنا أعتابها
شلوا تجرّره جباه جبابر!

عام جديد...

وحدي، هنا، في حجرتي
والليلُ والعام الوليدْ
والكأسُ والغصصُ الحرار
وغربةُ الحلمُ البعيدْ
وتساؤلُ القلقِ المرير
ووطأةُ الصمتِ المديدْ

***

وحدي، وأشباحُ السنين
العشر ماثلة الوعيدْ
كم حَطَّمت مني ومن
زَهوي ومن مجدي التليدْ
وقفتْ لتَنشرَ كلَّ جرحٍ
كان في صدري وئيدْ
من صَيحة الوطن الطّعين
ورقدةِ الوطَنِ الشهيدْ
وكآبة الشيخ الطريد
ودَمعة الطفل الشريدْ
وتَملْمُل الأحرار في
أغلالِ حكَّام عبيدْ
وتكالُب الأقزام فوق
ذيولِ عملاقٍ عنيدْ
وحدي، هنا، في حجرتي
والجرح والفجر الجديدْ
ورسائل شتَّى تقول
جميعها... عاماً سعيدْ!

بنات الشاعر . . .

كل الناس يعلمون بموت الشاعر ، إلا بناته ـ القصائد ـ
«ألقيت في حفلة تأبين الأخطل الصغير»
١٩٦٩

نديُّك السمح لم يُخنق له وَتَرُ
ولم يغب عن حواشي ليله سَمرُ
بناتُ وحيك ، في أرجائه زُمَرٌ
يهزها المترفان ، الزهو واخفرُ!
تيتمتْ وهي لا تدري ونشوتُها
من كل عنقود ذكرى كنت تعتصرُ
رواقصٌ ، تحمل السلوى وتسكبها
وليس تعلم ما الدنيا وما القدرُ
علـى نـاودّها الإغراءُ منـتـفضٌ
في تلفُّتهـا التَّحـنـان منـهـمر
ونـحن من حولـها أنضاءُ غربتنا
وأنت عـنـا وراء الـغيب مستتر
نُبدي لها غير ما نخفي ولوعتُنا
تكاد في صمتها للشوق تعتذرُ
فلا تلمْها إذا لم تخبُ بسمتُها
ولم يعكِّرْ صدى ألحانها كدرْ
لم يبلغ الخبرُ الناعي مسامعَها
عن مثل هذي اليتامى يُكتم الخَبَرُ!!
غنَّتْ ، فمن «بابل» طاف النعيم بنا
فـكـلٌّ مـنـطـلـقٍ ريَّـان ، مـزدهـرُ
جلا الـحياةَ لنا عن سر فتنتهـا
فما اشتفى وطَرٌ ، إلا اشتهى وطَرُ!
الكأسُ من خمرة الإلهام مترعةٌ
والقلبُ في هيكل الأحلام معتمرُ!
والـحبُّ قـرَّبـنـا منـه وعلَّـمـنـا
ما قدَّس اللّه لا ما دنَّس البشر!
غَنَّتْ... فمن «نينوى» مرَّ الشقاءُ بنا
فالراحُ لا عبقٌ والغصن لا ثمرُ!
رمى بنا القفر وافتضَّ السرابَ به
فأين ـ لا أين ـ منه الوِرْدُ والصَّدَرُ!
خَصاصةُ العيش ما مدَّت لنا يدَها
إلا وأقدامنـا من سعينا حُمُرُ!
فكـم عثـرنا ولـم تعثـرْ إباءتنا
وكم نهضنا ولم يشمتْ بنا خوَرُ!
وكم لدى صَلَفِ الحرمان من غصصٍ
نمنا عليها ولم تُكشفْ لنا ستُرُ!
غَنَّتْ وغَنَّتْ... فدنياك التي طُويتْ
منشورةٌ يجتليها السمعُ والبصرُ!
ترفَّعتْ عن رخيص العمر وأتلقتْ
بمـا أرادَ لهـا من زهـوه العُمُرُ!
تعال نسحْ على أدنى ملاعبها
فقـد تـحنُّ إلى مرآتها الصّوَرُ!
وما عليك إذا ما الزورةُ اختُصرت...
بعضُ الربيع ببعض العطرِ يُختصرُ!
طلعتَ من حرم التاريخ في جبلٍ
تـزيَّـنتْ بسـنـا آلائـه الـعُـصُـرُ!
وفي ضمـائرها من خيره سِيَرٌ
وفي حنـاجرها من هديه سُوَرُ
مؤثَّلٌ ، شامخٌ ، بالنجم معتصبٌ
بالـمجد متَّشحٌ ، بالعزّ مؤتزرُ!
إزميـلُ مـبـدعـه أدَّى رسـالـتـه
إلى العوالم فانطقْ أيها الحجرُ!
درجتَ فـوق ثـراه فـي كـآبـتـه
ودون قيد خطاك المسلك الوعرُ!
وحشُ الغزاة تمطَّى في مرابعه
وشدقُه عن لُعاب الكيد منحسرُ
ينساب بالنَّهم الطاغي وشِرَّتُه
مسنونة الناب لا تبقي ولا تذرُ
حَطمتَ بالصرخة الزهراء شوكته
ولم يحلْ دونها خوفٌ ولا حَذرُ
ثارتْ على رَجعها الأجيالُ وانطلقتْ
فـكـلُّ ميـدان ثأرٍ بالـدمـا عَـطِـرُ
وخلفَ هذي الرُّبى تهفو إليك رُبىً
بين الفرات وبين النيل تنتشرُ
على شهيٍّ رؤى لقياكَ مطبقةٌ
أجفانُها فهي تستجدي وتنتظرُ!
حَمَلتَ أشجانها الحرَّى فما شهقتْ
إلاَّ وراحتْ إلى نجواك تغتفرُ!
أذاكـرٌ يـوم روَّادُ الـجـمـال بـهـا
لفُّوا جبينك بالغار الذي ضفروا!
أحطتَ في رقة الرهبان جمعهُم
كما أحاط بعقد الأنجم القمرُ
وأنت تكـتم عنهم ما تكابدُه
تموتُ وهي على أقدامها الشجرُ!!

* * *

لا راقداً في حمى النُّعمى ومضجعه
ما زال يَندى عليه العشب والزَهَرُ!
نجيُّك اليوم من أزرى الزمانُ به
وردَّه عـن مـدى آفـاقـه الـكِبَـرُ
جناحُه بعدما طال المطافُ به
مخضَّبٌ من شظايا الشُّهب منكسرُ
يمشي الهوينا على صحراء رحلته
وصحبُه الليل والأشباح والسَّهرُ!
وبيـن جبـيـنـه آمـالٌ مبـعـثـرةٌ
تكاد لولا بقايا الصبر تنتحرُ!
كانتْ له في هضاب الشرق ألويةٌ
نَسجُ الكرامة معقودٌ بها الظفر!
يسائل القدرَ المحمومَ في خجلٍ
عنها فيغضي على استحيائه القدرُ
عـزاؤه أنّ مـلء السـاح فـتـيـتـه
إلى الرَّدى والفدا أرواحَهم نذروا
كتائبُ الفتح في إعصار عاصفةٍ
بالحقد والغضب العلويِّ تنفجرُ
من كل أمردَ ما أدمى مراشفَه
في رعشة الشوق إلا الوحلُ والمدرُ
وكلِّ حسناء ما باعت أساورها
إلا لتشتري بها ما الموتُ يدَّخرُ
كـتـائبٌ بالنضـال الحق مؤمنةٌ
إذا الطواغيتُ من إيمانها سخروا
إن خوطبوا كذبوا أو طولبوا غضبوا
أو حوربوا هربوا أو صوحبوا غدروا
خافوا على العار ،أن يمحى ،فكان لهم
على الرِّباط ، لدعم العار ، مؤتمر!

* * *

على أرائكهم ، سبحان خالقهم
عاشوا وما شعروا ، ماتوا وما قُبروا

* * *

عفواً ، بشارة ، بعض البوح ضقتُ به
فسال فوق فمي ، حرَّان ، يستعرُ
خنقتُ بالدمعة الخرساء أكثَره
وأقتلُ الدمع ما لا يلمح البصرُ

الغربة . . .

١٩٤٩

يـا غـربـتـي لا تـطـلـقـي أسـري
لـم يبقَ لي في العمر ما يُغري
طـالـعـتـنـي أيـامَ كـنتُ الشـذا
يـحـلـم فـي أكـمـامـه الـخضـرِ
ولـم تـزالي طيـفـيَ الـمـرتـمي
فـي كـل دربٍ مـوحش قـفـرِ
كـم سـلـوةٍ نـاجـيـتـهـا فـانـثـنتْ
تـرمـقـنـي بـالـنـظـر الشـزْرِ
كفَّنتُ في الفجر جراح الصبا
ورحت لا ألـوي عـلـى أمـرِ

* * *

يـا غـربـتـي مـا أقرب المـنـتـهى
بعد جفاف الكأس من خمري
سـيـري بـتـابـوتـي إلى قـبـره
وانـتـصـبـي بـومـاً عـلـى الـقـبـرِ!

زاروا بلادي...
١٩٦٧

زاروا بـــلادي نـــافـــريـــن ـ
مـن الـخـيـال إلـى الـعِـيـانِ
مـتشـوقـيـن لـرؤيـة الـحسـنـاء
عـــنـــقـــاء الـــزمـــانِ
أنـا صـغتُ فـتـنـتـهـا بـمـا
أوحـى إلـيَّ بـهـا افـتـتـانـي
غـنـيـتـهـا حـتـى غـدتْ
فـي مسـمـع الـدنـيـا أغـانـي
أطـلـقـتُـهـا مـن خـدرهـا
مـجـلـى السـنـا والـعـنـفـوانِ
وجـعـلـتُ فـتـيـتَـهـا حـمـاةَ
الـمـجـدِ فـرسـانِ الـرهـانِ

* * *

زاروا بـلادي، فـاخـتـبـأتُ...
(خشـيتُ أن يـدروا مـكـانـي)

يا عيد...
١٩٤٣

يا عيد، ما افترَّ ثغرُ المجدِ، يا عيدُ
فكيف تلقاك بالبشرى الزغاريدُ
وكيف ينشقُّ عن أطيافِ عزتنا
حلمٌ وراءَ جفونِ الحق موؤودُ
طالعتَنا وجراحُ البغي راعفةٌ
وما لها من أُساةِ الحيّ تضميدُ
فَلِلفجيعة في الأفواه غمغمةٌ
ولِلرجولة في الأسماع تنديدُ
فتلك راياتنا خَجلى منكسةٌ
فأين من دُونها. تلك الصناديدُ
ما بالها وثَبتْ لِلثأر وانكفأتَ
وسيفها في قراب الذل مغمودُ
يا للشعوب التي قادتْ أزمتها
على الليالي، عبابيدٌ رعاديدُ
يا عيدُ كم في روابي القدس من كبدٍ
لعا على الرفرف العلويّ تعييدُ
سالتْ على العز إرواءً لغصته
والعز عند أباة الضيم معبودُ
هيهات لن يشتكي ما طُلَّ من دمها
فالحقدُ مضطَرمٌ والعزمُ مشدودُ
سينجلي ليلُنا عن فجر معتركٍ
ونحن في فمه الشبوب تغريدُ

مع المعرّي...
١٩٤٤

ملعب الدهر لو ملكنا هدانا
لبلغنا من الحياة منانا
سبقتنا إليك أجنحة الشوق
وشقت لنا سبيل خطانا
وتلقيتنا ببسمةِ إشفاقٍ
وطوقتنا رضىً وحنانا
ودرجنا مع الشروق نغنِّيك
ونسقي سمع الدُّنى ألحانا
وحنين المجهول أخيلة تنبت
من كل صخرة ريحانا
أي زادٍ سوى الظنون حملنا
وتركنا إلى هواها العنانا
كلما أوغلت ركائبنا ضاق
على زحمة الدروب مدانا
واحتوانا من كل صوب ضباب
يرجع الطرف خاشعاً حرّانا
أنريد الوجود مُنْهَتِكُ الستر
يرينا أسراره عريانا؟
ويفضّ الفِدام عن قلبه السمح
ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما نشتهي لرأينا اللّه
في نشوة الشعور عِيانا!
نحن نسج الثرى، فما لأمانينا
على كل كوكبٍ تتفانى
تلك أقدامنا تعثر بالأعشاب
حيناً وبالحصى أحيانا
وظلالُ الغروبِ دونَ مدى
الطرفِ إلى رهبة اللقا تتدانى
نشطت قبلنا مواكب شتى
وترامت خضيبة خذلانا
وبقايا أشباحها من رؤى
المحموم أَوْهى تماسكاً واقترانا
تَغمزُ الهاجس الرهيف، فما
يبلغ صدقاً منها ولا بهتانا
وخَفيُّ الوجود ما انفك لا
ينبض قلباً ولا يرفُّ لسانا
طلبته عين الخيال ولما
لمحته تكسرتْ أجفانا!!

* * *

ملعب الدهر إن رجع حنينٌ
من أقاصيك أرهف الآذانا
واستفزَّ الأجيالَ من حجرةِ
الغيب، فهبّت تُمزّق الأكفانا
وتهادت تَقِلُّ موكبِ فِكَرٍ
يسحب الشهب خلفه أردانا
قام عنه أبو العلاء، وقام
الموت، مستنزفِ الاباء جبانا
قد طواه الزمانُ حتى إذا الخلد
اجتباه أطلّ يطوي الزمانا
ذاك تَجوالُه كأن انطلاق
الروح فيه لم يستطبْ ميدانا
بين شكٍ مُروّعٍ، ويقينٍ
مطمئنٍ، ما يأتلي حيرانا
وهو في حالتيه قيثارةٌ
زهراء، تروي نشيدها الفتانا
وقف الشرق بعد لأيٍ لتذكار
صداها مرنّحاً نشوان!!!

* * *

يا أخا الحكمة السنية هل نِلتَ
على سدّةِ الخلود أمانا
كيف ألفيت عالماً يكحّلْ
مرودُ النور جفنه الوسنانا
هل محا بسمة الكآبة عن
فيك وأردى في صدرك الأحزانا
وهدى خاطراً وزان لساناً
وشفى مقلة وأرضى جنانا
كم تهاوت من دونِه روحُك
الحرّى وسالت جراحُها ألحانا
عالمُ الوهم نَحنُ صُغنا رؤاه
وأَردْناهُ أن يكون فكانا
لست تسطيعَ أن تكونَ إلهاً
فإن اسطعتَ فلتكن إنسانا!!

صور... معبد كاجوراو...

١٩٥٧

مَن منكما وهبَ الأمانْ
لأخيه، أنتَ أم الزمانْ
شقيتْ على أعتابك الغارات
وانتحرتْ هوانْ
وتمزَّقتْ أملاكُها
تاجاً وفُضَّتْ صولجان!
وبقيتَ وحدك، فوق هذا-
الصخر وقفةَ عنفوان!

* * *

يا هيكلاً نثر الفتونَ-
ورنّح الدنيا افتتان!
وثبَ الخيالُ إلى لقاكِ
وردَّ وثبتَه العِيانْ!
وتكلّمتْ أحجارُك الصماءُ
مُشرقة البيان
وتلفَّتتْ منها الدُّمى
بين افتراقٍ واقتران
نَضَت الوقارَ عن الحياة
فما استقرَّ له مكان!

* * *

عينيَّ... ما تتأملان
وأيَّ دنيا تجلوان
مَسَح الذهولُ عليكما
يَدَه، فما تتحوَّلان
كم دميةٍ ذلَّ الرخامُ-
على انتفاضتها وهان
طلبتْ فأعطى، واشرأبَّتْ
فانحنى وقَستْ فلانْ!
وتكاد تنقل ظلَّها
وتسير مطلقةَ العنان

* * *

هذان نَضْوا صَبوةً
مجنونةً، يتعانقان
وعلى ارتخاء الساعد الرَّيان-
تخفق خصلتان
شفةٌ على شفةٍ تفتّح
برعماً وتلفُّ بان
وإلى جوارهما تثنَّتْ
سروةٌ، بل سروتان
غابت به خصراً فأجفلَ
واستدارَ الناهدان

* * *

وفتىً يهمُّ بقبلةٍ
ويكاد يقطفها حنان
قطع الحياءُ بها السبيلَ
فما استعان ولا أعان
تمضي الليالي وهو من
نعمائها قاصٍ ودان!
وبنات لذاتٍ مطرّحةٍ-
عناقاً واحتضان
وأكفُّ «شيفا» ستَّتان-
على حواشيها اللِّدان
حيران ... من أي الكنوز-
يلمُّ حبات الجُمان!!
وتلوح إحداهن ذاهلةً-
مروَّعة الجَنان
ظمئتْ وأخطاها الرَّوى
فكأنَّ زهوتَها أهان
وكأنها شعرتْ بنهديها-
أرادا يشردان
فلها على طوقيهما
كفّانِ لا تتزحزحان

* * *

ومراهقٍ مستسلمٍ
لقيادِ غانيةٍ عَوان
ردَّ الربيعَ لها، فرقّتْ-
طلعةً وزهتْ ليان
أهوتْ عليه فاكتسى
بالياسمين الخيزران!
وتمهَّلَتْ... لا وهجُها
فانٍ ولا الينبوعُ فان!
وحيالَها ثنتانِ من
أترابها مَنسيَّتان
زُمّتْ شفاهُهما على
معسولِ ما تتساقيان
وسَهَتْ جفونُهما على
أطيافِ ما تتشهَّيان
لولا خلاخيلُ الكعوب-
لقيلَ عانيةٌ وعان!!
ونديٍّ كُهّانٍ تضوَّعَ-
في مجامره الدُّخان
وصنوجه وكؤوسه
طافت بها زمرُ القيان
يرقصنَ في إغرائهنَّ
وكلُّ قدٍّ، أفعوان
وأمامَهنَّ بقيةٌ
من كاهنٍ خسر الرهان
لو همَّ، خشَّت أضلعٌ
منه وصكَّت ركبتان
ركعتْ وراءَ وساده
إحدى صباياه الحسان
وتجمعتْ فانهلَّ نسرينٌ
وأورق أقحوانْ
فشفاه ما اهتصرت أنامله
وما اعتصر اللسان

* * *

وغَويَّةٍ ظمأى تفنَّن
في رضاها ظامئان
ها هما بما اقتسما فكلٌّ
عند مورده استكان
هذا مطاويها استطاب-
وذا نوافرها استلان

* * *

ومعربدٍ في رعشةٍ
محمومةٍ... فَصَدَ الذِّنان
أعفى! وللأعياء في
جفنيه، تومئ دمعتان
وأناملٌ عشرٌ على
كتفيه، دامية البنان
وصبيةٍ ممشوقةٍ
هي والغواية توأمان
يهفو القميص لمسِّ خصريها
وتأبى الحلمتان
شمختْ وفوق مساحب-
الأردان، أضلاعٌ حوان!

* * *

وشقيةٍ قيلَ اجتباها ـ
واصطفاها كاهنان
فتنتهما فتباريا
في حبها يتناحران
وتناسيا فيها هوى
«شيفا» فما يتعبَّدان
فإذا هما مسخان في
صدر الجدار مقيدان
والبدعةُ الحسناءُ بينهما
تعضُّ على البنان
وذؤابتاها حيتان
بجيدها مشدودتان
ومجال نهديها خصيبٌ
طوَّقته عقربان!

***

وهناك راقصة تناهتْ
في تأوُّدِها اتّزان
وقفتْ على ساقٍ، فكانتْ
مثلما اعتدلتْ ثمان!
خلخالُ كاحلها، وتاج
جبينها، متقاربان
وعلى تلاقي حالبيها
عاصبتٌ من أرجوان!

***

وفتاةِ خدر لم تلامسْ
عقدَ مئزرها يدان
وقفتْ وجفناها بأذيال
الشموس معلَّقان
قالتْ ـ وقال الوعدُ
للأحلام: ما آن الأوان!

***

كاجْروا! هل من حرمةٍ
لك عند رائيها، تُصان!
كم زائرٍ أدمى فؤادَك
ما أسرَّ وما أبانْ
أخفى الرّضى وتظاهرتْ
بالسّخط، عيناه اللتان...
تتحريَّانِ وتنهلانِ
وتسكرانِ. وتحلمان!
مزَّقتَ أقنعةَ الحياة
وما عليها من دهان
وجلوتَها في عُريها
فترفَّعتْ بعد امتهانْ
كاجروا، عفوكَ، ليس لي
مني على حلمي إتمان!
أوْلى فأوْلى أن تموتَ
طيوفهُ خلفَ الجفان
لا تسلنَّ فلن أجيب
وظُنَّ بي ما أنت ظان!
أنا مثل غيري لا يُرى لي
من كُوى سجني كيان
أنا مطمئنٌ بالقناع ـ
ورافلٌ بالطيلسان
أزفَ الفراق... فلن تمدّ
إلى رتاجك راحتان!

***

كاجْروا... لولا العجزُ
والحرمانُ ما كان الجبان!

أوغاريت...

١٩٥٢

يا روعةَ الماضي البعيد
المستسرِّ المبهمِ
كيف انطلقتِ من سلاسل
والعقالِ المحكمِ
أقبلتِ، فالتفت الزمانُ
تلفُّتَ المتوهِّمِ
والموت دونك واقفٌ
في ذلَّة المستسلمِ
فيم التمرُّد والوثوبُ
على القضاء المبرم
أتعبتِ من حلم الخلود
فشئتِ أن لا تحلمي!!

***

ما تبصرين؟ تأملي!
ما تشعرين؟ تكلمي!
ألربعُ ربعُك فانحني
عطفاً عليه وسلِّمي!
لا تنكريه إن تنكَّر
بعد طول تجهُّم
لم يبق فيه من بنيكِ
سوى الطيوف الحوَّم
كم خضَّبته حوافر
الخيل المغيرة بالدم!
ولكم تحطمت الظُّبى
في صدره المتحطم!
أنسيتِ كم فرعون
داس على ثراك الأكرمِ
وتتابعتْ أشباهه
في كيدها المتضرمِ
حتى غفوتِ على جوانب
مجدك المتهدِّمِ

***

مالي أراكِ كئيبة
النظرات، لم تتبسمي
هذا الذهول ينمُّ عن
ذاك الجوى المتكتم
ويكاد يسأل: مَن أنا
ويكاد يخذلني فمي!
أنا يا ابنة الأمجاد
مثلك واقفٌ في مأتمي
أنا من بقايا أمةٍ
هي والعلى من توأمِ
مرتْ على الدنيا مرورَ
القطر بالحقل الظمي
وتناقلتْ آياتِ رحمتها
شفاهُ الأنجم!
ردَّدْتَ إلى مغناك
عهدَ ربيعك المتصرمِ
فإذا شممتِ الطيب فهو
نثيرُ ذاك الموسمِ!
لا تسألي أين انتهتْ
إن تسألي، تتألمي!
الشمل بين مشتتٍ
وممزق، ومثلَّمِ
والأرض ما زالت مهادَ
الظالم المتظلمِ!

***

يا روعة الماضي البعيد
المستسرِّ المبهمِ!
ألقاك... واغمضَ اليتيمة
في ظلال المأتمِ!
عودي إلى حرم الغياهب
واهجعي! لن تندمي

لبنان...
(١٩٤٨)

أنت! ما أنت! فتونٌ سرمدي
نَجتدي من وَحْيِه ما نجتدي
ونُناجيك وفي ألحانِنا
يَنتهي شوقٌ وشوق يبتدي
ولنا في كل نادٍ سُمَّرٍ
عكَّفٌ حول أمانٍ شُرِّدِ
ردَّدتْ ما ذاع منا فانثنتْ
في روابيك نشاوى سؤددِ
فأتلقْ يا معبدَ النجوى بنا
إنّما نحن شموعُ المعبدِ!!
كم كحَلْنا مقلةَ المجد بما
صغْتَ في فجر السَّنا من مِرْودِ
يوم طوَّقتَ البرايا بيدٍ
وتلقيتَ جناها بيدِ
قدَمٌ تجرح أحشاء الثرى
وفم يلثم خدَّ الفرقدِ!
وعلى جنبيك فتيانٌ مشى
خلفهم ركبُ الزمان الأمردِ
غمسوا المجذافَ في اليم ففي
أفق مئزرٌ من زَبدِ
حَملوا الحَرفَ الذي انشقَّتْ على
لَحنِهِ البكر شفاه الأبدِ
فتلفَّت فلم تلمح سوى
أمةٍ تهدي! ودنيا تهتدي!

بلبل...
(١٩٤٤)

حلم تخلّى عنه في رغدهِ
هل يقدر النوحُ على ردّه
لو يعلَم الصيّاد ما صَيده
لم يجعل البلبل في صيده

* * *

ألفيته ينشر ألحانَه
كأنما ينشر من كِبده
وإلفه المشفق، ظلٌّ له
باقٍ كما كان، على عهده
مدلّهُ اللفتات مستوحشٌ
طاوٍ جناحيه على وجده
كما أَطبقتْ منقاره غصةٌ
فمدّه ينقر في قيده!!
أَسقَمَهُ العيش على وفره
لما رآه ليس من كدِّه
وأين مخضلّ الجنى حوله
من زنبق الروض ومن وَرده

* * *

طوى المنى نوحاً، ولكنما
لم يغنه النوح ولم يجده
فعاف دنياه ولم يتخذْ
عشاً ولم يحملْ سوى زهده
كأنه من طول ما مضّه
من عبث الدهر ومن كيده
أبى عليه الكبرُ أن يورثَ
الفراخ ذلَّ القيد من بعده!!

كوبا كبانا...
(١٩٥٢)

مطاف الجمال، مطاف الجلالْ
ملكتَ عليّ عنانَ الخيالْ
وموجّتَ روحي بغُبر الرمالْ
وزهر التلال وخضر الجبال
وزرقة يمّ رحيب المجال
وأنت على عاديات الضلال
صلاة احتمال ونجوى ابتهال
طويت العصور الخوالي الطوال
وما زلت تسأل ركب الليالي
عن كل أسمر سمح الخلال
أمات على شفتيك السوأل!؟
بعد الكلال وبعد الملال
أين الطراد وأين النزال
وأين الزوارق عبر الرمال
وأين صباياك حلم الرجال
نشاوى دلال سكارى وصال
رواقص في حلقات اتصال
وللنار دون خطاها اشتعال
أتتك الجياع تجر الوبال
وسابت على الشط حمر النضال
فضجّ الصدام وضج القتال
فلا كوخ إلا وفيه انهيالْ
ولا شمل إلا وفيه انحلال
قرابين... تذبح ذبح السِّخال
فدى المتغني بطيب الفعالْ
وفي روحه من نزير الضلال
ومن رجس دنيات داء عضالْ!

* * *

مطاف الجمال مطاف الجلالْ
ملكت عليّ عنان الخيالْ
فإني أحس بهذي الرمال
وهذي التلال وهذي الجبالْ
طيوفَ الأوالي الغوالي الحوالْ
مواثل لا يعتريها الكلالْ
على الدهر ترعاك في كل حالْ
فلا العهد ولّى ولا الحب زالْ
ولا مرّ هجرك منها ببالْ
حنانك ...
إن بسمعي انسلال
حفيفِ جناحٍ قريبِ المجال
بعيد المنال، بعيد المنالْ



حنين . . .
١٩٣٦

لا تغنّي فإن حشرجة الميت
وجهش النعاة في مسمعيَّا
أتغنّين ذكرياتي وكانتْ
كوثراً في فم الزمان شهيّا
يوم أُسقى من راحة الوحي خمري
وأصوغ الحياة شعراً نديّا
وأرى توبة الزمان بعينيك
فأنسى ما قد أساء إليّا
أسمعني على أنين الأماني
من عثار الشباب لحناً شجياً!!
أوجومٌ؟ فيم الوجوم منى النفس
وفيم الذهول يكسو المحيَّا
أترامت عليك أشباح ذكرى
تترك الحبّ، يا هلوكُ، حييًّا؟؟
حوّلي ناظريكِ عني... فما أستطيع
أجلو سراً هناك خفيّا!
ويح نفسي، ما للعواطف تخبو
ويفتّ الخذلانُ في ساعديًّا؟؟
أنا طفل الحياة يا ضلة الروح
فعفواً إن جئتُ أمراً فريًّا؟
قبليني! فقد شعرت بروحي
وثبتْ وارتمتْ على شفتيًّا!!!
لستِ أنت التي أضمك بل دنيا
فتونٍ وعالماً علويّا!!!
أتبسمتِ؟ بعد صمت رهيب
كان يدوي في مسمعيّ دويّا؟؟
خدريني بنغمةٍ تقتل اليأس
وتهمي بالمسكرات عليّا
حسناً تفعلين؟ ... غنّي، أعيدي
إخفضي الصوت، تمتميه إليًّا
أتركيني على ذراعك أغفو
وأذيبي الأصداء شيئاً فشيًّا!!

عودة الروح...
١٩٥١

ليلك . . . هذا الليل يا زنجيةْ
فاطويه في آفاق الندية
وانطلقي أنشودة شجيةْ
ورقصة مجنونة، وحشيةْ
حاملة أشجانك الخفية
ناثرة أطيافك السخيةْ
بين يدي أحلامك المنسيةْ
غيبي عن الوجود وأطلقي عهود فردوسك المفقود
تمر بي مخضلة الآلاءِ
زخارة بالبشر والنعماءِ
على حواشي الغابة الخضراءِ!
وأنتِ... في طلعتك السمراءِ
لاهية بالصنج والغناءِ
مائسة بالغنج والإغراءِ
بين لحاظ الفتية الظماءِ
والكاس والعنقودْ في خدرك المرصودْ للفارس المنشودْ
ألقاك! ألقى حولك النيرانا
مالئةً صدر الدجى دخانا
والغاب ساج مترع أمانا
طاب زماناً وازدهى مكانا
وألمح النواهد الحسانا
ينشرنَ ريّان الصبا عريانا
من كل نشوى خاصرتْ نشوانا
لم تعرفي قيودْ عالمنا المكدودْ في غابك المعبودْ
كيف؟ ومن أوحى إليك الرمبا
وفضّ في سمعك لحنَ السمبا
دنياك أهوت في الليالي غضبى
وأطبقت فوق الجراح الهدبا
كيف طويت الغيب درباً دربا
وزرتها شوقاً لها وحبّاً!
أيُّ هوىً ردّ جناها الرَّطبا
غيبي عن الوجود وعن رؤاه السود وأفقه المحدود
واستعرضي أيامك القصيَّةْ
واحييْ بها هنيهةً هنيةْ
ليلك هذا الليل يا زنجيةْ!!

مقصد... فراق...

١٩٤٤

كيف تطوي بردَ الصبا الريانِ
وليـاليك أكؤسٌ وأغاني
ومغاني أيامك الزهُرِ مهدٌ
لوصال وملعبٌ لأماني
ودروب الحياة لو شئتَ كان
الصخرُ فيها منابتَ الريحانِ
كيف تطوي برد الصبا وحواليك
ضلوعٌ على هواك حوانِ
وعيونٌ لم تختلجْ في شهيٍّ
النوم إلا عن طيفك الفتانِ
أنفضْتَ الأذيالَ من عبق
السير على كل معشب فينانِ؟
ومسحت الشفاه من قبلات
الحب والشوق والرضى والحنان
وتصامت عن نشيد فتونٍ
أنت ألفاظه وأنت المعاني
أيعود الربيع ينقل فوق
الأرض أقدام زهوةٍ وافتتانِ؟
ويموج الجمال أنّى هفا
قلبٌ وأنّى تلفتت مقلتانِ
وتسيل الحياة مشبوبةَ الأنفاس
خلف المنى بغير عنانِ
أين منك الربيع يا ناسجاً من
طيب دنياه أفجع الأكفانِ
كم هديٍّ عذراء رنّحت الخدرَ
بفيضٍ من أمنيات حسانِ
وأذلّت جوعَ الصبا بتثنيك
خيالاً في جفنها الوسنانِ
واكتفت منك أن تحبك للحب
وأن تنطوي على الحرمانِ...
أي عذراء مزقتْ حجبَ
الغيب وجازت مواكبَ الأزمانِ
وأطلّت عليك، بدعةَ إغراءٍ،
سخيٍّ الأظلال والألوانِ
فحسرت الشفاه عن بسمةٍ
أندى وأسنى من بسمة الايمانِ
وقذفت النداءَ، في لهفة
العاني وشوق المدلّه الحيرانِ
فترامتْ عليك نشوى نعيم
لم يَجسْ قدسَه هوىً إنساني
فإذا الطيب بين فجوة نهديها
يريك الحياة حلمَ جبانِ
فتلوّيتَ ساكباً قلبك الحرّان
في كأس قلبها الحرّانِ
وتهاديتما ورَوْقُ الثريا
عَبِقٌ من مساحبِ الأردانِ
والزغاريد من كوى الخلد تهمي
في سماع النجوم سيلَ تهاني
أوَراء الردى يقام لك
العرسُ غريبَ الأوتار والألحانِ
قم تكلمْ فإن صمتَك دمعٌ
في جفوني وعقدةٌ في لساني!
ويح نفسي، ركبتُ أجنحةَ
الظن ولم ألتفتْ إلى أشجاني
لست أدري إلا نواك، فلن ألقاك
من بعده ولن تلقاني
غبت عني، إلا خيالاً حبيباً
للتناجي وليسَ للسلوانِ

***

يا مغاني لبنان هل هجع
السُّمارُ وانفضّ عقدُهم يا مغاني
أين نادٍ لنا سهرتِ عليه
والليالي مطروفةُ الأجفانِ
غمرته المنى، فليس لنا ما
نتمنى، في ظله الجذلانِ
كلّ أرجائه من المتع البيض
ثغورٌ، تصيح: يا من يراني!
كم أوينا إليه نغسل فيه
صدأ العمر من غبار الزمانِ
ما له انفضّ سامراً ونقالاً
وتعرّى من الحواشي اللدانِ
كيف ألقاه والخيالات شتّى
بين مغضٍ على السكون ورانِ
يجفل الطرفُ في حماه ويرتدّ
على مقلتي رؤى أحزانِ
تلك أشلاؤه يكفّنها الصمتُ
ويلقي بها إلى النسيانِ
فكؤوس الندمان ليس عليها
أثرٌ من مراشف الندمانِ
وبقايا الأوتار مخنوقة
الأصداء منثورة على العيدانِ
كان نادٍ لنا، فيا روعة
الأسرار نامي في حجرة الكتمانِ
لا تطيق الحديثَ عن رقة
الجدول أذنُ المشرَّد الظمآنِ

***

يا حبيبي سالتْ خناجر تحناني
فهل أنت سامع تحناني
أفراقٌ بلا وداع وعهدي
بك جمّ الوفاء سمح الجنانِ
أتخوّفت أن أرى عربدات
الداء في جسمك العليل الواني
وانكماش الشفاه عن بسماتٍ
عندها السخط والرضى سيانِ
فاعتزمتَ الرحيلَ في نجوةٍ من
نظرات الأحباب والأخدانِ
كان ما شئت يا جميل، فأطيافك
مجلى شبابك الضحيانِ
ما اشرأبّت إليّ إلاّ تلمستُ
بكفي ما انهدّ من بنياني
وتراءت مُنى حياتي أسرابَ
مسوخ محمومة الهذيانِ

***

يا حبيبي هذي خطاك على
دربي، وهذا صداك في آذاني
ليَ في كل وقفة وجمةُ
المشدوه بين الرؤى وبين العيانِ
جبهتي من ندى الشروق وقلبي
من نجيع الغروب يستقيانِ
فاطمئني يا نفس، لن تبلغي في
آخر الشوط غيرَ أمانِ
سكرَ الدهر، فاسكري، ودعيه
بالرضى يستردّ ما أعطاني

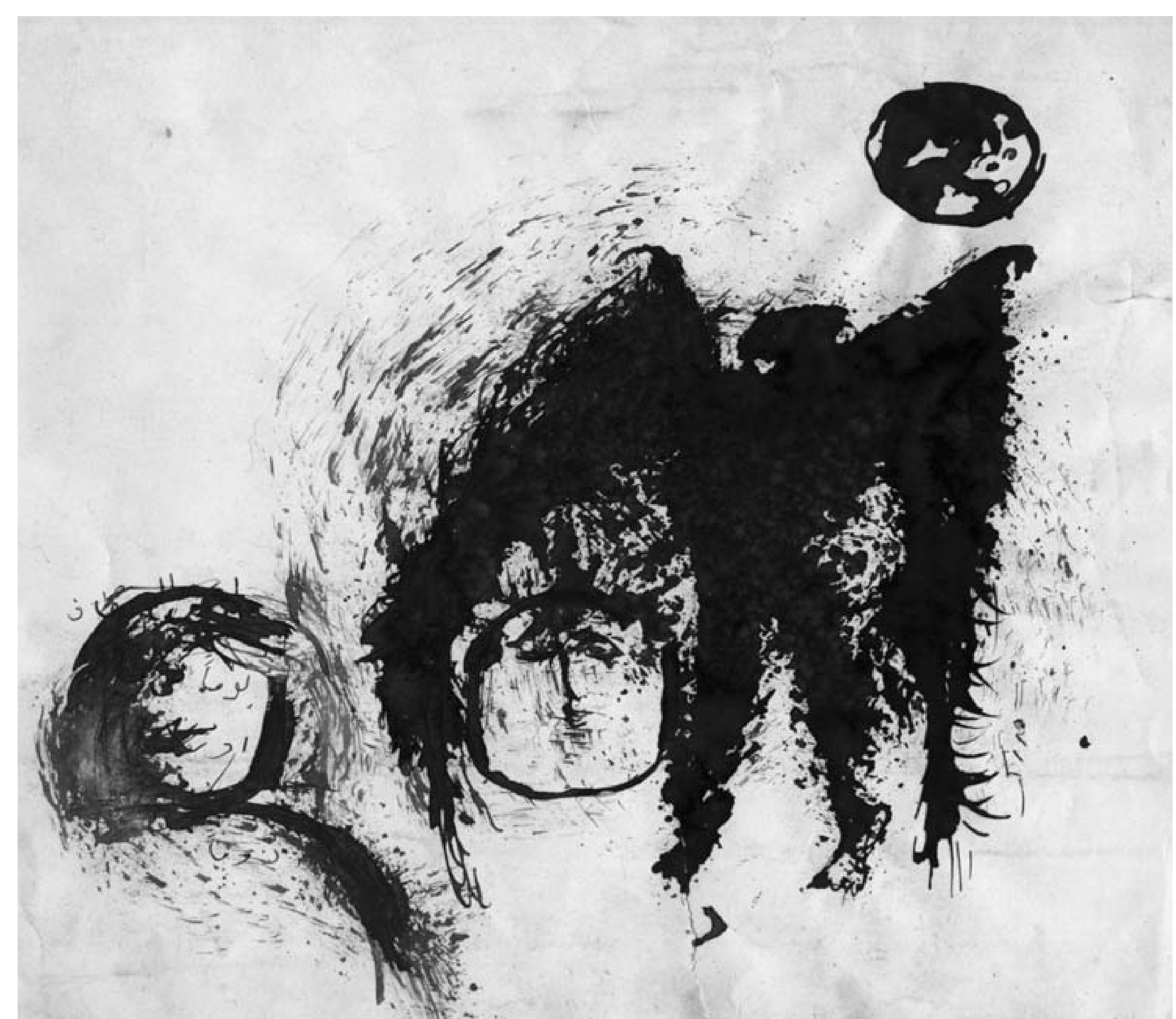
الخزّان الأكبر...

١٩٥٠

عيناك سوداوان وحشيّتانْ
أقرأ في طرفيهما عمري!
فكم طواني في مداه الزمانْ
وما طوتْ نجواهما صبري!
فهذه ليلتنا الحاليةْ
عادت بأشتات المنى الغاليةْ
ليلة نام النيل مفترا
محتضناً حسناءه البكرا
وزُمرُ الحسانْ
في رقصها الفتانْ
تواكب الألحانْ
بالصنج والمزهرْ
والندِّ والعنبرْ
وخلفها الكهانْ
والمعبد الأكبرْ!
ونحن. هلْ تذكرينْ؟
كيف انسللنا
كيف شفينا الحنين
وما سألنا!
وفي حمى نخلةْ
ترنّحتْ قبلةْ
فسلسلت نهلةْ
فاطفأت غلّهْ!
وبعدها! لم نلمح الفجرا
ولم تزل ليلتنا سرا
أعرف منها هذه الذكرى
ما بك يا حسناء، يا سمرا!
يا قطعة من روحي الحرّى
أراك لا تدرين ما مرَّا
من أنت، ردي على سؤالي
ولا تحدي مدى خيالي
أتنكريني، وتعرفيني؟
وتسأليني وتمنعيني!
ويح يقيني!

***

لا بد أن يحنو عليّ الزمانْ
وأن تلاقيني بفيض الحنانْ
عينان، سودان، وحشيتان!!



ساذج...
١٩٣٦

مُنيةَ النفسِ تناسي سيرةً
تركت في مسمعِ البغي صَداها
واسدلي السّترَ على الماضي الذي
أخذَتْ من لهوِهِ نفسي مُناها
ذكرياتي كلها أغفت فلا
تُوقظيها من دياجيرِ كراها!
هي أهواءُ شبابٍ مترفٍ
بلغَ الطهر على رَجسِ خُطاها!!
كلّما جاسَتْ رُؤاها مضجَعي
نَفَرَ النومُ فألوى برُؤاها
أنت فتّحت عيوني للسنا
بعدما فجّرت في روحي هداها
أنت جنّحت أماني التي
حلّقت تهزجُ في أقصى سماها
كنت كالملاّح في لجّته
كسرت مجذافَه الريحُ، فتاها
سدَلَ الليلُ عليه سجفَه
وجلا عن مُقلةِ الذّعرِ عماها
فأصابته يدٌ من رَحمةٍ
لطمتْ من شامخِ الموجِ الجِباها
وانتهى زورقُه الواهي إلى
شاطئٍ ألقت به النعمى عصاها!

* * *

فتعالي نلتمسُ دُنيا من الحبِّ
لم يبلغ سُرى الوهم مَداها
كملايين إذا ما التقيا
ما تعدّتْ ثورة الشوق الشفاها
فنعب الكأس ريّا بالمنى
ونبقي في فم الطهر شذاها!
منية النفس، أرى صمتك ما
ينثني يطعن في نفسي رجاها؟
اتركي الشك... ففي قبضته
مدية أقتل طعناً من سواها
انظري فيّ ملياً... واقرأي
في عيوني آية شاع نهاها
إن حبي لك لم يترك إلى
شهوة الإثم هشيماً للظاها
إنني كفنت أشلاء الخنا
وغسلت الكف من عار دماها!!

* * *

أطرقت... والشوق في مقلتها
كاد أن يفضحَ أحلام صباها!!

الروضة الجائعة...
(١٩٣٨)

أفي هذه الليلة المقمرة
أهيم بأرجائك المقفره!
عرفتُ الذهولَ الذي قادني
إليك فأحببتُ أن أنكره

* * *

لك الخير يا روضتي! لم أجد
سواكِ! مواسيةً خيّره
أتيت لأنسى ... فما لي أرى
الهواجس كالسّحبُ الممطره
ألا أين عرسُ الجمال السَنيّ
على ذيل يقظتك المبكره
وللغصن ترنيمةُ العندليب
وللجوِّ تسبيحة القبّره
وأين بساط الندامى على
مطارف الغضة المزهره
ورقصُ القيّان وخَفْق الصنوج
وعربدة الكؤوس المسكره
تلوّيتِ فوق زنود الخريف
على وهج لذته المنكره
ولما تعريتِ لم تسمعي
سوى ضحكة منه مستهتره
فأصبح خلف جبين الحياة
وأحلامها فكرة مضمره!

* * *

أأقلقتُ أحلامكَ الهاجعات
على سُررِ النعمة المدبره
رويدك ولا تجرحي صمتَك الرهيب
ولا تهتكي مئزره
فإني أحس به همهماتِ
الوحوش وخشخشة المقبره
فذا شبحٌ فاغرٌ شدقه
وذا شبحٌ شاحذٌ خنجره
ومن كل صوبٍ فم جائعٌ
تمزق صيحاته الحنجره!
حنانك لا تفلتي الذكريات
على وحشتي صوراً مُصحره
فبي مثلُ ما بكِ لكنما
أبتْ كبريائي أن تظهره
فردّي إليَّ الذهولَ الذي
تطير له الروح مستبشره
فلتقاه أكرمَ من دمعة المتابِ
ومن بسمة المغفره!

عزاء...
١٩٣٤

أما الصّبا فلقد مرت لياليه
فابكيه يا عفة الجلباب فابكيهِ
ملكت قلبك عن روض الهوى زمناً
واليوم روض الهوى غيضت سواقيه
بالأمس إن جئت أبدي ما أكابده
لويت جيدك عما جئت أبديه
وما رثيت لدمع كنت أذرفه
ولا عطفت على جرح أعانيه
واليوم جئتك... لا صبّاً ولا كَلِفاً
بل للجمال الذي يذوي... أعزيه

حوَّاء
١٩٦٢

غابَ، ولن يرجع، يا ليتني
أعطيته بعض أماني الحياةْ!
يا ليتني أطبقت أجفانه
قبل الردى، بالقبلة المشتهاةْ!
أشعر بالوحشة من بعده
ولم يكن لي فيه من أمنياتْ!
كم مرَّ بي والشوق يُزري به
ولم يجد مني إليه التفاتْ!
ما لي إذا ما زارني طَيفَه
أمسحُ من أجفاني الدامعاتْ
ليس سواهُ، بين أترابه
كان يرى... أني أحلى فتاة...

إيمان...
١٩٥٨

فراشةٌ قالت لأخت لها:
«ما أبهج الكون وما أسنى
لكنني يا أُخت في حيرةٍ
من أمره سرعان ما يفنى!»

* * *

رفيقةَ العمر لنا يومنا
فَلْنجنِ من نَعماهِ ما يُجنى
لا تسألي عن غدنا ربَّما
أيقظتِ من أشباحه الوسنى

حكمة...
١٩٤١

شاردٌ طرفك الكليل
متعَبٌ، قَلبُك العليلْ
لن أقول إجرحي الخيالْ
لَنْ أقولَ أخنقي السؤالْ
المنى؟ شيّعي المنى،
ليس غيري... هنا... هنا
ليس في مضجعي عتابْ
ليس من غربتي إيابْ
هاك أقداحيَ الجُددْ
إنها حكمة الجسدْ!

وداع...
١٩٤٦

قفي! لا تخجلي مني،
فما أشقاك أشقاني
كلانا مرّ بالنّعمى
مُرور المُتعبِ الواني
وغادَرَها كوَمْضِ الشوقِ
في أحداق سكرانِ!

* * *

قفي! لن تسمعي مني
عتاب المدنف العاني
فبعدَ اليومِ لن أسأل
عَن كأسي وندماني
خذي ما سطّرتْ كفاكِ
من وَجْدِ وأشجانِ
صحائف طالما هزّتْ
بوحيٍ منكِ ألحاني
خلعتُ بها على قدميك
حلم العالم الفاني!
لنطوِ الأمس، ولنسدلْ
عليه ذيلَ نسيانِ
فإن أبصرتني، ابتسمي
وحييني بتحنانِ
وسيري سيرَ حالمةٍ
وقولي... كان يهواني!

غصن...
١٩٥٢

وتلاقينا غريبين هنا
لم تكن أنت... ولا كنت أنا!
بدَّلتْ منا الليالي وانتهى
عَبثُ الكأس، وإغراء الجنى
مَوسم الورد أخذنا عطره
وتركنا فيه غصناً ليّنا!
وافترقنا... ونأى العهد بنا
ونَسينا، وتناستنا المنى!
لا تَثرْ ذكرى هوانا، ربما
نفّرت عن مقلتي الوسنا!
آن للنعش الذي أودعته
كل أشلاء الصّبا أن يُدفنا
إمضِ من دربي، فما أحسبه
في خريف العمر إلا هيّنا!!

نجمة...
١٩٤٤

من يناديني؟ وقد أنكرني
في دروب العمر من يعرفني
أغريبٌ؟ ملّ في غربته
عبثَ الوهم ولهوَ الزمن
أم شقيٌّ نسي الكبرُ على
شفتيه بسمات المؤمن
من يناديني؟ وأعراس الصّبا
لم تدعْ في الكأس ما يسكرني
أبتولٌ؟ سلّها من خدرها
شوقُها المخضوب بالحلم الهني
أم هلوكٌ ألفتْ روضتها
شفةَ الساقي وكفّ المجتني!

* * *

من يناديني؟ وسمّار الدُّجى
كُحِّلت أجفانهم بالوسنِ
أحبيبٌ؟ أي أحبابي تُرى
من كوى الغيب سرى يؤنسني...
ما لأصداء المناديَ خَفَتْ
وتلاشى وقعُها في أذني...
نجمةٌ ضاءت على البعد فيا
ذيلَها الوضّاء كنْ لي كفني!

مات الشباب...
١٩٤٠

مات الشباب! فملء صدر -
الأرض أنفاس اكتئابِ
سمعتْ به أترابه
فأتته أنضاءَ انتحابِ
فالزهو مشلول الخُطى
والحسنُ مجروح الأهابِ
والطير محدود الفضا
والروض مسلوب الملابِ
والشعر مخنوق الصدى
والسحر مطويّ الكتابِ
وقفتْ تواري ذلك النعش -
المكرّمَ في الترابِ
وتساءلت حيرى: أما
للحبّ حسٌ بالمصابِ
مهلاً... طعنتِ وفاءه
الحبُّ ماتَ مع الشباب!!

أقدام...
١٩٤٩

أمشي على رِسلي   في مـدرجِ الـرمـل
حيران أستقصي   دربي، وأستجلي
والريح في سخر   مني، ومن ظلي!

* * *

ما المجدُ، يا دأبي   ما الخُلد، يا شغلي
ما نشوة الدنيا   من موسمي الجزلِ!
يا طيبَ أهواءٍ   تغري ولا تُسلي!!
لم يُغنني عنها   مَن سار مِن قبلي

* * *

كم موكبٍ بعدي   في لهفة السؤْلِ
يمشي على دربي   للبحث عن ظلي
في مدرج الرملِ

حرمان...
١٩٣٥

ليلى! أنا وحدي أقلّب في الربى
طرفاً يروح به الجمال ويرجعُ
أسهو على ذكراك حتى أنثني
متطلعاً... لهفي لمن أتطلّع!
بيني وبينك عالم لم يُدنه
شوق. ولم يبلغ حماه تضرّعُ
أقتات بعدك بالخيال وقلما
دفق الظلام وما احتوانا مضجعُ
ليلى! يكاد هواك يجرح زهوتي
فتبوح بالألم الدفين الأدمعُ!

زنبقة...
١٩٤٧

ألفيتها مخضلةً في روضها
والفجر بين ذيوله يطويها
حتى إذا ما انتفضت عليه، تجمعت
أنفاسه، وتجمدتْ في فيها
وتمايلت تيهاً، بعرس فتونها
وزهتْ وعرس فتونها يبكيها
والطيب مسفوحٌ على جنباتها
يهمي على روحي بما يشجيها
فلويتُ في شبه الذهول أناملي
وقطفتها... لهفي لمن أهديها!!

أخاف عليكِ...
١٩٤٥

أخاف عليك أن أطوي كتابي
وأقرأ ما به في مُقلتيكِ
فَكم من لَهفةٍ أودعتُ فيه
ولم أهمسْ بها في مسمعيكِ
تُقاسمني الرضى والسخط، لمّا
نفضتُ زمام أمري من يديكِ
أراكِ على دروب الشكوى حيرى
فكيف تُرى انتهت مني إليكِ
ليحزنني اكتئابكِ... لا تطلّي
عليّ بما تبقّى لي لديكِ
دعي ماضيَّ يطويني، فإني
أخاف عليك من خوفي عليكِ

هؤلاء...
(١٩٧٠)

تتساءلين... على مَ يحيا
هؤلاء الأشقياء...!
المتعبونَ ودربهمْ
قفرٌ ومرماهم هباءْ
الذاهلونَ الواجمونَ
أمام نَعش الكبرياء!
الصابرون على الجراح
المطرقون على الحياءْ!
أنستهمُ الأيامُ، ما
ضِحْكُ الحياةِ وما البُكاء
أزرتْ بدنياهمْ، ولم
تتركْ لهُم فيها رَجاء
تتساءلين... وكيف أعلمُ
ما يَروْن على البقاء؟!
إمضي لشأنك...
أسكتي ...
أنا واحدٌ من هؤلاءْ!

شجون... ما بعدك...
١٩٦٥

ما بعدك؟ يا أفقي الأعلى
دنيايَ تـوارتْ في العتمةْ!
سرٌّ يغريني بالتصعيد
وأنتَ تحبّبُ لي كَتمهْ
أعطتني أيامي أشهى
ما مرَّ على خاطرِ نعمةْ!
فصباحي مِن أمل بسمةْ
ومسائي من حلم ضَمَّةْ!
ومساحبُ أقدامي في الترب
حديث العطرِ إلى النسمةْ!
بغيٌ مني أن لا أرعى
لعطايا أيامي حُرْمةْ!
ما بَعدك يا أفقي... إني
منطلقٌ مشبوب الهمَّةْ
وَيْحي... ما لي أنهار... وما
لمطافي يستنزف حُلمةْ
ما لي أهوي... وأحس الغيمة
تقذف بي إثر الغيمةْ
لأظن... جناحي محترقٌ
محترقٌ... من لمسة نجمةْ!

دروب...
١٩٤١

وقفتُ أمام دروب الحياة
مثارَ الأماني، شريدَ الفِكرْ
فَمرّت مواكب رُوَّادها
تخبّ إلى الموعد المنتظرْ
وخلفَ خُطاها انتفاض التراب
وليس لها فوقه من أثرْ
فسرتُ عليها، ودنيا الرضى
أبدّد من ليلها ما اعتكرْ
وألفيتني بعد طول السّرى
جناحاً أصاب المدى فانكسرْ
لمستُ على ريشه المرتمي
تهاويل حلم مضى واندثرْ
فتلك ليالٍ... على كبرها
تخطّفتُ منها أعزّ الثمرْ
وأرسلتها في شفاه الحياة
نشيدَ فتونٍ، ونجوى سَمَرْ
وهذي ليالٍ... على زهدها
أرتني النعيم غريب الصورْ
فرحت أسائل عن موعدٍ
أضمّد فيه جراح البشرْ

النور...
١٩٣٨

النور أتعبَ مقلتيّ
ونفّر الأحلام عني
عصفتْ يداه بالظلال
وبالجلال المطمئنِ
فإذا الحياة تلفُّتٌ
عريان مجروح التمني!

* * *

النور أدمى مقلتيّ
وما شفى وهمي وظني
كم مدَّ لي سبلاً لا قطفَ
من خمائلها وأجني
فقطعتُها تعبَ الخُطى
ولكم عثرتُ ولم يُقلْني

* * *

النور أعمى مقلتي
فيا ظلام الكون قدني
رفقاً فإني بت أخشى
أن تهدَّ يداك ركني
ما زال بي شوقٌ إلى
الدنيا... فلا تأخذه مني!ره

جبل...
١٩٥٧

معاذ خلال الكبر ما كنت حاقداً
ولا غاضباً إن عاب مسراي عائبُ
فكم جبلٍ يغفو على النجم خدُّه
وأذياله للسائمات ملاعب!
نظرتُ إلى الدنيا فلم ألفَ عندها
كبيراً أداري أو صغيراً أعاتب
وما هان لي في موقف العز موقفٌ
ولا لانَ لي في جانب الحق جانبُ
فيا غربة الأحرار ما أطول السُّرى
وملء غيابات الدروب غياهبُ

هي... هي والدنيا...
١٩٦٢

هي والدنيا... وما بينهما
غصصي الحرّى وأهوائي العنيدهْ!
رحلةٌ للشوق؛ لم أبلغ بها
ما أرتني من فراديس بعيدهْ!
طال دربي... وانتهى زادي له
ومضى عمري على ظهر قصيدهْ

لا تنتقي كلماتك...
١٩٦٦

حدثيني عما يضجّ بجنبيك
وعما يثور من رغباتكْ
عن لياليك... عن شجونك... عما
خبَّأتهْ الدموع في بسماتكْ!
من أنا منك؟... ما تريدين مني؟
أنا بعض العثارِ من خطواتكْ!
حدثيني... قُصّي جناح ظنوني...
حدثيني... لا تنتقي كلماتك!

شرود..
١٩٣٦

صوت يناديني... وفي مسمعي
منه أغاني أمل ممتعِ
من أين؟ لا أدري... ولكنني
أصغي وهذا الليل يُصغي معي!

* * *

أختاه! إني راحلٌ فاهدأي
وزوِّديني بالرضى واهجعي
قوافل الأجيال قد لوَّحتْ
تومئ لي من أفق أوسعِ
أنا الذي ذوَّب أوتاره
وصبَّها برءاً على الموجعِ
هي من حنايا سدرة المنتهى
متكأي إن شئت أو مضجعي!

* * *

لا يا ضلال الروح لن أكتسي
منك جناحي حلم مفجعٍ
كم أمنيات عفت أعراسها
مآتماً تُعول في مخدعي
وكم نشيد مسكر في فمي
قاطعته... فانهلّ في أدمعي
حسبي إذا ألقيت طرفي على
أمسي صدمت القلب بالأضلعِ
هيهات... لن يسمع هذا الدجى
بعدي حنينَ الوتر الطيِّعِ
ولن ينام الحبُّ في مهده
على صلاة الشاعر المبدعِ
قُبَّرةٌ فوق ضلوع الضحى
غنَّتْ... وولَّت ثم لم ترجعِ

محاجر البركان...
١٩٦١

لا تصفحي عني ولا تغفري
إني أحب المرأة الحاقده!
قولي ابتعد عني، قولي انطلقْ
ما شئت في أهوائك الفاسده
يجرح من زهوي تغاضيك عن
أمسي وعن أحلامك الشارده
لو بين جنبيكِ بقايا هوىً
لكنت في هذا اللقا زاهده
محاجر البركان لم تكتحلْ
بالثلج... لولا ناره الهامد!

إقرأيها...
١٩٦٥

إنها حجرتي... لقد صدئ النسيانُ ـ
فيها... وشاخَ فيها السكوتُ!
أدخلي بالشموع... فهي من الظلمة
وكرٌ في صدرها منحوتُ
وانقلي الخطو باتّئادٍ فقد يجفلُ ـ
منك الغبارُ والعنكبوتُ!!
عند كأسي المكسور... حَزمةُ أوراقٍ
وعُمرٌ في دفّتيها شتيتُ
إحمليها... ماضي شبابك فيها...
والفتون الذي عليه شقيتُ
إقرأيها... لا تحجبي الخلد عني
أنشريها... لا تتركيني أموتُ

لست أحيا...

معولي في يدي... وأصنام دنياك ـ
تريني ما ضاق عنه خيالي
لم يزل بعدُ في بقية أيامي ـ
بحالٌ إلى بنات الليالي
لستُ أحيا إنْ لم أُمتْ كلّ يومٍ
فيكِ شيئاً... عبدتُه في ضلالي

خِداع...
١٩٣٥

ملكتِ عليّ النعيم الحياة
وصفقتِ في أفقة طائرهْ
وتهتِ عليّ فلم تسمعي
صدى زفرة في الدجى ثائرهْ
ولما نفضت يدي من هوىً
طهورٍ كقلبك يا طاهرهْ
علقتُ بكل سدوم الطباع
صريعة لذاتها الكاسرهْ

* * *

أرى بين جفنيك جسر الدموع
تسير عليه طيوف الألمْ
أتخشينني؟ إن أمسي انطوى
فلا تنشريه خضيب الذممْ
فلم يبق فيه، إذا ما التفتّ
إليه، سوى غصصٍ من ندمْ
فلا تتركيني على صبوتي
طليق الأماني، كسيح القدمْ

* * *

سكتّ وطرفي على طرفها
غضيضٌ، وفوق يديها يدي
فاسندت الرأس في رقةٍ
على قلبي الثائر المجهدِ
ولما هممت بتقبيلها
ورشفِ الرضاب الشهي الندي
سمعت نداء الضمير الجريح
يتمتم: يا وغد لا تعتدِ

* * *

حنيت على وقعه هامتي
وسرت على غير

عودي...
١٩٦٥

قالتْ ملَلتُك. إذهبْ. لست نادمةً
على فِراقِك... إن الحبّ ليس لنا
سقيتَك المرّ من كأسي. شفيتُ بها
حقدي عليك... ومالي عن شقاك غنى
لن أشتهي بعد هذا اليوم أمنيةً
لقد حملتُ إليها النعش والكفنا...
قالتْ... وقالتْ... ولم أهمسْ بمسمعها
ما ثار من غصصي الحرّى وما سكنا
تركتُ حُجرتها... والدفء منسرحاً
والعطر منسكبا... والعمرَ مُرْتهنا
وسرتُ في وحشتي... والليل ملتحفٌ
بالزمهرير. وما في الأفق ومضُ سنا
ولم أكد أجتلي دربي على حدسٍ
وأستلين عليه المركب الخشنا...
حتى... سمعتُ... ورائي رجع زفرتها
حتى لمستُ حيالي قدّها اللدنا
نسيتُ ما بي... هزتني فجاءتُها
وفجّرتْ من حناني كلَّ ما كمنا
وصحتُ... يا فتنتي! ما تفعلين هنا؟؟
البرد يؤذيك عودي...
لن أعود أنا!!

وبقايا ذكرياتي...
١٩٦٦

عدتِ لي؟ هل عاد من غربته
شوقكِ المضطرب المضطرمُ؟
كم تخطفتِ الغوايات به
وجناحاه الظّما والنّهمُ!
أي كأس شئتِ أن تلهيْ بها
لم يكن يرشح منها الندمُ!
عدتِ لي؟ يا طولها من غربةٍ
خدرَ الصبرُ بها والألمُ
كيف ألقاكِ؟ وهل يرضيك أن
يتعرّى جرحي الملتئمُ؟
أمنياتي... ذهب الماضي بها
وخيالاتي... طواها العدمُ
وبقايا ذكرياتي تعبتْ
فهي لا تبكي... ولا تبتسمُ!!

دنيا...
١٩٤٨

سيري كما شاء التجنّي
واشفي غليلك واطمئني
ما أنتِ يا دنيا وما
أبقيتِ للأحلام مني
تطوينَ بالإغراء أيامي
وأطويها تمنّي!
أنا في نديّك أسأل
السّمارَ عن كأسي ودني
غنّيتُ حبّك وانتشيتُ
وكم فتىً بعدي يغنّي
واصيحةَ الحلم الأخيرِ
إذا تفتّح عنه جفني!

قلبي معك...
١٩٤٣

ناداك تحناني فما أسمعك
فاذهب، فذاك الشوق، قلبي معكْ
سرنا معاً حيناً، وخلّفتني
وحدي... على الدرب الذي ضيّعكْ
أرنو إلى الدنيا، وآفاقها،
فما أراها جاوزت مضجعكْ
حسبي منها موعد في المسا
أفهم فيه سرّ ما استودعكْ

ولا كلمة...
١٩٥٢

في النجوى، من نِعمِ اللقيا
ما أشقى الحبَّ وما أظلمَهْ!

* * *

بتْنا، وذراعانا، قَيْدا
دنيا، بالفتنةِ مُتّسمهْ!
ومراشفنا ريّا، وجوانحنا
بالنشوة مضطرمه!
ومحاجرنا غَرْقى فيما
سَكبتْهُ يقظتُنا النَّهِمهْ!
وانفض الليل وما مرّت
في مسمعه، منا، كلمه

ولا بسمة...
١٩٣٧

أنكرتني؟ وما زال عَبَقُ الهوى
ووَهجه في ثغريَ الدامي
أهكذا يَنحلُّ ما بيننا
وتَنتهيَ نعماء أيامي؟؟
كم سِرتُ في إثرك في غفلةٍ
عنكِ وملء الدّرب أحلامي
وكم تلفَّتِ... ويا طالما
عرفتني من وقع أقدامي

* * *

مررتِ بي اليوم ولا بسمةٌ
منك لطهري أو لآثامي

إني لأعجز...
١٩٦٠

أتــيــتــنــي أيّ عــطــف
عــلــى الــوداع تــبسّــمْ
أرنــو إلــيــك، وطــرفي
يــجــول فــي كــل مُــبــهــمْ...
عــلــى شــفــاهك بــوح
بِــصــمــتــه يــتــلــعــثــمْ..
لا تــطــلــعــيــنــي عــلــيــه
إني بــمــا بــه أعــلــمْ...

* * *

عــودي، كــمــا جئتِ طــيــفــاً
مــن راحــة الــخــيــر أرحــمْ
أخِــفــتِ أن أتجنّــى
عــلــى هــواك وأنــدمْ
لا يــا أعــزّ وأغــلــى
مــا فــي الــحــيــاة وأكــرمْ
إنــي لأعــجــز مــن أن
أخــافَ أو أتــألــمْ!!

المنحنى...
١٩٦٢

أمسكتِ بـي بـاسـمـة لاهـيـةْ
عـلـى حـواشـي الـربـوة الـزاهـيـةْ
ومـلـتِ فـي صـمـتٍ... وطوقتني
ومـلء عـيـنـيك رؤىً خـافـيـةْ
رفيقتي... أكـرم مـا فـي غـدٍ
حـكـايـة الـخـمـر عـن الـداليـةْ
سنقطع الدرب على المنحنى
ولـلـسـنـا الايـمـاءةُ الـهـاديـةْ
وبعدنا... يـبـقـى الشذا والـنـدى
والـنـسـمـة الـرائـحـة الـغـاديـةْ
والـبـلـبـل الشـادي عـلـى أيـكـةٍ
والـنـرجسُ الـحـاني على ساقيةْ
ونشـوة الـعشـاق فـي هـمـس مـا
قـلـنـاه فـي أيـامـنـا الـمـاضـيـه!!

* * *

رفيقتي... أهـوت عـلـى ساعـدي
شاحبةً... وانـفـجـرتْ بـاكـيـةْ

كُنا...
١٩٦٢

كـنّـا ومـا مـرّ عـلـى وهـمـنـا
أن نسـأل الأقـداح عـن خـمـرنـا
ذاك الصّـبـا الـريّـان ولّـى ومـا
علّـمـنا كـيف تـكـون الـمـنى!
فـكـم سـحـبـنـا ذيـلـه في الرّبى
فـفـتّـق الـنـسـريـن والـسـوسـنـا!
كنّا... ومـا أوجـعـهـا زفـرةً
مـخـنـوقـة الـبـوح، ومـا أحزنـا
تـأمـلـي لـهـو الـلـيـالـي بـنـا
كيف جنى من روضنا ما جنى
لـم يُبـقِ مـن مـجـلـى تـهـاويـلـنـا
بـيـن يـديـه أثـراً بـيّـنـا!
إذا تـلـفـتٌ إلـى أمسـهـا
لـم تـعـرفـي من أنتِ أو من أنـا!!

* * *

رَفـيـقـةُ الـعُـمـرِ جَـفـاني الـكَـرى
فـوسّـديـنـي الـسـاعـدَ الـلـيـنـا
مُـرّي بـجـفـنـيكِ عـلـى جـبـهـتـي
واستعرضي العيشَ الفتيّ السنا
وسـلـسـلـيـهِ قصّـةً قصّـةً
وقـرّبـيـه مـوطـنـاً مـوطـنـا
أريـد أن أغـفـو وفـي مـسـمـعـي
مـا يـسـتـعـيـر الـحـب مـن حـبـنـا!

عالم من نساء...
١٩٦٤

جنباً إلى جنبٍ... نَجرُّ الخُطى
وفـي مـآقـيـنـا احتضارُ العزاءْ...
كـأنـنـا طـيـفـان قـد أفـلـتـا
مـن عـالـم الـمـوتـى ودنـيـا الـفـنـاءْ
لا لَـمسةٌ منّا... ولا هـمسةٌ...
أشقى المنى... ما ضاق عنه الشقاءْ
وسـلّـنـا مـن صَـمـتـنـا... موعدٌ
نـادى بـه الـمـرفـأ مـرّ الـنـداءْ!
وكـان مـنّـا مـوقـفٌ لـم يـدع
في الشهقة الحرّى... بقايا رجاءْ
تـدري وأدري، أنـهـا فـرقـةٌ
لـيس لـنـا مـن بـعـدهـا مـن لـقـاءْ
سارتْ إلى المركب... مشدوهةً
مـعـقـودةً أجـفـانُـهـا بـالـسـمـاءْ
وغاب في اليمّ... وغابتْ به...
وغابَ عني... عالمٌ من نساءْ!!

بسمة التحدي
ـ هكذا يمضي شهيدنا ـ
١٩٧٠

يبسم... مــن عــلّــمــه
كــيــف يــطــيــب الألــمُ
ســلاحُــه عــلــى الثرى
مــبــعثرٌ مــحــطّــمُ
وصــــــدرُه ممزق
يســيــلُ فــوقــه الــدمُ
وحــولَــه أعــداؤ
تَــلْــعــنــه وتشــتــمُ
تُــمــعــن فــي تــعــذيــبــه
لــعــلّــه يَــسْــتــســلــمُ
أو يَــثــنــي عــن زهــوِه
بــقــولــه: أَسْــتــرحــمُ
أزرى بــذلّ حــقــدهــا...
ومات... وهــو يــبــســمُ

أيام...
١٩٥٨

لـلـحب، هـذا الـعـمـر، يـا دنـيـا
لا تـحـجـبـي مـن خـيـره شـيّـا
لـولاه، مـا كـنتِ الـجـمـالَ ولا
فـجّـرت لـي نـعـمـاءه وحـيّـا
كـيـف الـحـيـاة إذا رزئتُ بـه
وطـويتُ سـفـر عـهـوده طـيّـا!
الـكـون أوهـى بـعـده سَـنـداً
والـمـوت أشـهـى بـعـده لُـقـيـا!!

* * *

وتـمـرّ بـي الأيـام... يـا دنـيـا
وتسلُّ خـيـرك مـن يـدي بـغـيـا
وأسيرُ خـلـف ركـاب وحشتها
ووراء جـفـنـي تـغـرق الـرؤيـا
مـا كـان أغـرب كـلّ أخيلتي!
الـحبُّ مات... ولـم أزل حيّا!!

ليدا...
١٩٤٦

مرغي جفنيك بالحلم وغيبي
وتناسي وحشة العمر الجديبِ
واهصري ما شئت من أجنحة
تشتهي الموت على وهج اللهيبِ
كـبـريـاء الـفـتـنـة الـبـكـر أبتْ
أن ترى خمركِ في كأس حبيبِ
فاحملي الشوقَ فما تدري به
أُذن الـواشـي ولا عـيـن الـرقـيـبِ
واسـفـحـيـه رعشـةً تـنضـح مـا
قرّ في نهديك من خمر وطيبِ

* * *

يـا ابـنـة الأحلام لا تـسـتـقـبـلـي
مصرع النشوة بالطرف الكئيبِ
يـكـتـفـي الـزنـبـق فـي صـحـرائـه
بـنـدى الـفـجـر وانـسام الـمـغـيبِ

لن أرمي به...
١٩٦٦

لمْ أزلْ أسحبُ قيدي متعباً
وجراحي لم تزل تشتم قيدي!
أنا أقبلتُ عليه راضياً
بعدما غيبتُ في عينيك رشدي
كم تغاضيتُ حياءً، كلما
أو مات لي من كوى الاشفاق أيدِ
كلُّ أهوائك كانت بدعةً
من غوايات، عنيداتِ التحدّي
أخذتْ من كبريائي ما اشتهت
وتلهّتْ بتباريحي ووجدي
فانطوى... في غَيْهب النسيان ذكري
وانتهى في ذلّة الغفران حقدي!
وجفاني كلّ أترابي، فما
حفظوا ودّي، ولا أوْفوا بعهدي
ما تبقّى ... غير هذا القيد لي
في بقايا الليل... من هم وسهدِ
إنه عمري ... فلن أرمي به
لا أطيق السير في الوحشة... وحدي!!

إن ذكرت...
١٩٦٤

وتسائليني! ما يريحُك؟
ما أجيبكِ؟ لستُ أدري!
غالبتُ فيك غوايتي...
فخسرتُ فيها كلّ كِبَري!
وتبعتُ طيفك عاقداً
بالذيل منه زمامَ أمري
كم وقفةٍ لي دون دارك
خضّبت بالذلّ صبري
وغضضتُ من طرفي كأني
ما لمحتُ خيال غيري!
كم ليلةٍ حرّى، على
إغرائها أرخصتُ خمري!
وأهنتُ تحتَ لهاثها
ما كان من زهري وعطري
وتسائليني... ما يريحك؟
ما أجيبك؟ لست أدري
أنا إن ذكرتُ نشرتُ عاري
أو نسيتُ... طويتُ عمري

المرأة...
١٩٦١

حكايةٌ مزوَّرهْ...
من قال: هذي جوهرهْ!
كانتْ على البُعد ينابيعَ
السنا المفجَّرهْ!
سعيتُ في طلابها
على الشّعاب المقفرهْ
على ملاعب النسور
والضواري المخدرهْ
وخلف أقدامي نثيرٌ
من جراحي الخيّرهْ
وا خيبتي... لم ألفَ إلاّ
كرةً مبلورهْ!!

* * *

وعدتُ للسفح... وصحبي
أعينٌ مستفسره!
تسألني عن رحلتي
العجيبة المظفّره
ولم أجبْ.. خفت على
خيالها أن أنحره...
وكان منّي لفتةٌ
للقمّة المسوّرهْ
وشاع ملء ناظريّ
الهالةُ المنوّره
وا لهفتي... أقسمُ أم
كانت أمامي جوهرهْ!

الطيف...
١٩٦٢

على شفتينا ثار طَيفك وارتمى
فأبعدَ وهجَ الشوقِ والعطرِ عنهما
وتسألني ما بي ... فأختنقُ زفرتي
وأرنو إليها موجعاً، متبسما!
وأرجع عنها حاملاً منك وحشتي
وفي خافقي جوعٌ وفي مقلتي ظَما
وأغرق في كأسي عهودك كلها
فما أعرف الأشياء إلاّ توهُّما!
حنانَكِ، أبقي لي بقية سلوةٍ
ألوك بها الشهد الذي كان علقما
فكلُّ جمالٍ صاح بي منه هاتفٌ
إليك تناهى أو إلى سحرك انتمى!
ولي خطوات بعدُ في درب غربتي
سأقطعها وثباً وأخضبها دَما
وألقاك بالحب الذي تعرفينه
ولن تسألي عنه ... ولن أتكلّما

طموح...
١٩٥٠

أَحبَبتني؟ أحببتِ أن تلعبي
وتسحبي الذيلَ على الكوكبِ
وتَسمعي نجواكِ مخضلةً
على شفاهِ الزمنِ الأشيبِ
أُمنيةٌ، أدركتِها فاَغرفي
ما شئتِ من نعمائِها واشربي
مَرَرْتِ بي فالتفتتْ سروةٌ
إلى بقايا أمْسِها المعشبِ
وقلت أهواك، فلم يختلج
شوقاً إلى الكأس فمُ المتعبِ
عفو الهوى، لا تجرحي كبرَه
وكبرَ هذا الوترِ المطربِ
إني لتشقيني الدموع التي
تخفين فيها بسمة المأربِ
يكفيكِ يا حسناء أن تشتفي
مني، وأن أُملي وأن تكتبي

تمويه...
١٩٤٩

وتسألني وتسألني
وأُسْمعها حكايتي
ولا أخجلُ من شرحي
لها شتّى غواياتي
ولا من فضٍّ ما صاغته
في النجوى رسالاتي
وتسألني؛ وأُسمعها...
وأجرح وجهَ مرآتي
وأحمل قُدس آلامي
وأخفيها ببسماتي
هوىً في مَغرب الأيام
مشبوبِ المنى، عاتِ
نسيتُ رعاية الماضي
عليه، ووحشة الآتي

ربما...
١٩٤٦

أضعتُها... وكانت الدنيا
التي أضعتُها
عرفتُ بعض صحبها!
من بعد ما عرفتها!
كم غمزوا من لهوها
الطاغي وكم زجرتها
كم أقسمتْ لي أنها
تابتْ... وكم صدقتها!
أين اختفت؟ كل
مغانيها اليتامى زرتها!
لم أُبقِ داراً خلتُها
فيها... وما طرقتها
أين تراها؟ طال تهيامي
وما وجدتها!
ويحي... أظن أنني
في سكرةٍ، قتلتها!!



قيد الحرية...
١٩٥١

يوم حَطَمتُ دميتي
على صخور نقمتي
هتفتُ بي: وا فرحتي
عدت إلى حريتي!

***

ومرّت الأيام بي
عابثةً بسلوتي
فلم تطالعني بنعمي-
دمعةٍ أو بسمة!
فلا رؤىً في غفوتي
ولا مُنىً في يقظتي!
أيّ حياةٍ هذه!
رتيبةٍ، مملّة!
بعيدة عن مأربٍ
بريئةٍ من علّةٍ
ما لي إلى الماضي أعود-
ثائرَ التلفُّتِ؟
مستعرضاً جراحه
بلهفةٍ، وحسرة؟
وا وحشتي... في وحدتي
في القيد من حريتي!!

أشهى من أن يدوم...
١٩٦٠

وحدي... لو أنك أقصى
من ظل كأسي ظلاّ!
أبلي عليك الليالي
بهاجس ليس يبلى
ولم أزل في ذهولي
أبغي لسرك حلاّ!
أردتِ أنت انطلاقي
إلى الخباء المعلّى!
إلى ملاعب دنيا
ما زارها الوهم قبلا
ولم أكن لك كُفْواً
ولا لحبكِ أهلا
وغبت... لم تتركي لي
من القليل الأقلا
لم أدرِ... كيف تصدَّى
لي النعيم وولّى!
لعلّه، كان أشهى
من أن يدوم وأحلى!

غربيان...
١٩٥٦

كيف عشنا غرباء في الحمى
كيف قطّعنا الليالي نوّما
كم تلاقينا وما بُحتِ، ولا
بُحتُ واخترنا على الجرحِ الظما
ومضى كلٌّ إلى مَلعبِه
يَخنُق الشوقَ ويخفي الألما
موعدٌ كان على الأرض لنا
وأتيناه... ولكن بعدما

***

حدثيني عن سَنا الفجر الذي
طافَ بالطيبِ وزقّ البرعما
وجلا الدنيا فتوناً مترفاً
فتلقّاه ضُحاها نَهِما
وطَلعنا وادّكارُ العطر
في خاطرَينا يتحرّى الموسما

***

حدثيني عن أمانينا التي
تَزحَمُ الأُفُقَ وتغزو الأنجُما
أين نَمضي؟ وصدى أغلالنا
يجرحُ السمعَ ويثني القَدما
ربَّ طيفٍ، عاتبٍ، نَعرفه
جال في أحداقنا مستفهما
وإذا القبلة نادتنا، حَبا
بين شقي شفتينا وارتمى

***

حدثيني ربما تدرين يا
فتنتي كيف نرود المُبهما

مظلومة...
١٩٥٥

لعوبٌ لو عرفناها
لما كنا ظلمناها
فَكم مرّتْ ليالينا
على تجريحِ ذِكراها
فما برَزت لنا إلا
وضحكتُها، وأصداها
توزّعها هنا وهنا
وتغمرنا بعدواها
فقلنا: ترفُ الأيام
أعطاها، وألهاها

***

وأمس، نديُّنا الحافل
بالأطياب حيّاها
وقامت بيننا سكرى
وفي يدها حُميّاها
وقالت ما لهذي الكأس
ولّى سحر ريّاها
وما لأمرِّها أمسى
على شفتيّ أحلاها
متى تُغرق أيامي
وأحلامي فأنساها
وجازتنا مقهقهةً
وهازئةً بدنياها

***

عرفنا كيف بنتُ الدمع
لا يبتلُّ جفناها

انتقي لي حكاية...
١٩٥٣

عدت من بابل، فخفّ صحابي
لسماع الغريب من أسفاري
كلّهم خاشعٌ، يقلّب فيّ الطرفَ
بين الإعجاب والإكبارِ
أَسْكَرتْهم حكايةُ التّرف الدافقِ
في غفلةٍ من الأقدار
من نداء الثّمار للعابر السالي
لِغمزِ الألحانِ للأوتار

***

عدت من «نينوى» فخفّ صحابي
لسماع الغريب من أسفاري
كلهم خاشعٌ يقلب فيّ الطرف
بين الاعجاب والإكبارِ
أذهلتهمْ حكاية العدم الماثل
في قسوةٍ من الأقدار
من تثنّي الأشباح بين المحاريب
لِنجوى الأحجارِ للأحجار

***

عدتُ من عالمٍ، تألق في عينين
فيّاضتين بالأسرار
فيهما يَغرقُ الخيالُ، وتنهارُ
الأماني، وتَسْتحمُّ الدراري!
كَثُرت فيهما، حكاياتُ نعمائي،
وعزّتْ، وحار فيها اختياري
ما تراني، يا بِدعة الحسن، أروي
لصحابي، وكلهم في انتظاري؟
إنتقي لي حكايةً، ربما شكَّ
صحابي في الصدق من أخباري

كان التلاقي...
١٩٦٤

لم أودّعك... خفت أن تُرجعيني
عن فراري وتحكمي من وثاقي
خَدَعتْني غوايتي، بتهاويل
حياةٍ سخية الاشراقِ
وأثارت عليَّ منك شجوناً
صَغُرتْ عن إثارة العشاقِ!!
فتناءيت عنك... أضرب في الأرض
بأقدام متعب أفّاق!
كل نادٍ يمّمته، لم يطب لي
فيه كأس ولم يرق فيه ساقِ!
كل حلمٍ خبّأته في خيالي
لم تشاهدْ أطيافُه أحداقي!
وأطلت المطاف في غيهب العمر
ألفُ الإخفاق بالإخفاقِ!
وأواري بين الجوانح ذكراك
فتطفو على حواشي المآقي!
عُدت من رحلتي... إليكِ وجرحي
لم تلامسه راحتا إشفاقِ!
الوجومُ المريرُ في طرفِكِ الذاهل
قسى من مصرع الأشواقِ
ليس فيه من الليالي المواضي
أيُّ حدبٍ على الليالي البواقي
ويح نفسي طال اغترابي عن نفسي
فوا وحشتاه ... كان التلاقي!

العودة...
١٩٥١

أعود يا رياحُ
في الليلة الليلاءْ
من زورة الأهواءْ
والتيه والعناءْ
مخضّباً جراحْ

***

أعود يا ألمْ
ويشهق الندمْ
وتغرق الأشباح
في غيهب العدم

***

ويومئ المصباحْ
من بيتي الصغير،
من ملجأي الأخير
وأسرع الخطى
وتفتح الأبواب..
لا عُتبَ، لا إعتابْ!

***

وأرتمي علي سرير أحزاني
وفوق أجفاني لمساتُ تحنان
وملءُ آذاني... همساتُ غفرانِ

طهر...
١٩٤٦

ألفيتُها ساهمة
شاردة تأمّلا
طيفٌ على أهدابها
كسّرها تنقُّلا
شقّ وشاح فجرها
خميلةً وجدولا
وماج فيها رعشةً
حرّى وشوقاً مُنزلا
ناديتها، فالتفتتْ
نهداً، وشَعراً مرسلا
واللحظ في ذُهولِه
مُغْرورق تملْمُلا
طوّقتها، يا للشذا
مطوّقاً، مُقبّلا
فما انثنتْ حائرة
ولا رَنَتْ تدلّلا
ولا درتْ وجنتها
من خجل تَبدُّلا
كأنها في طهرها
أطهرُ من أن تخجلا!!

عشاق. . .
١٩٤٢

دنا منا يجرُّ خطاه
بين السكر والوهنِ
وفي برديه ما يُشقي
وفي عينيه ما يُضني
فملتِ عليّ باردة الجبين
غضيضة الجفنِ
وصدركِ حلمتا قلقٍ
تنهدتا على أمنِ!
فسمَّرَ فيَّ لحظيه
وقهقه ساخراً مني
وسار... كأنما يحمل
نعشَ العمر للدفنِ!

* * *

مناايَ دعي لصحو غدي
بقايا الخمر في دَنيّ

سر السراب. . .
١٩٤٦

كم جئت أحمل من جراحات الهوى
نجوى، يردّدها الضمير ترنُّما
سالتْ مع الأمل الشهيّ لِتَرتمي
في مَسمَعيك، فما غمزتِ لها فما
فخنقتها في خاطري! فتساقطتْ
في أدمعي، فشربتُها متلعثما
ورَجعْتُ أَدراجي أَصيدُ من المُنى
حلماً، أنام بأفقه متوهما
أُختاه! قد أزف النوى فتنعمي
بعدي فإن الحبّ لن يتكلما
لا تحسبيني سالياً، إن تلمحي
في ناظري، هذا الذهول المُبهما
إن تهتكي سرّ السراب وجدته
حلم الرمال الهاجعات على الظّما!!

يا شعب. . .
١٩٤٣

يا شعبُ لا تشكُ الشقاءَ
ولا تُطل فيه نواحَكْ
لو لم تكن بيديك مجروحاً
لضمدنا جراحك
أنتَ انتقيتَ رجال أمرك
وارتقبتَ بهم صلاحكْ
فإذا بهم يرخون فوق
خسيس دنياهم وشاحكْ
كم مرةً خفروا عهودك
واستقوا برضاك راحَك
أيسيل صدرُك من جراحتهم
وتعطيهم سلاحك

* * *

لهفي عليكَ، أهكذا
تطوي على ذل جناحك
لو لم تبح لهواك علياءَ
الحياة لما استباحَك

من أنتِ. . .
١٩٤٣

من أنتِ؟ كيف طلعت في
دنيايَ؟ ما أبصرتِ فيَّا!
في مقلتيكِ أرى الحياةَ
تفيضُ ينبوعاً سخيّا
وأرى الوجودَ تلفُّتاً
سمحاً وإيماءً شهيّاً؟
أَلَممتِ أحلامَ الصّبا
وخلعتِ أكرمها عليَّا
مهلاً- فذاك الوهم- لا
تَرمي بمئزرك الثريّا!
أنا في جديب العمر أنثرُ
ما تبقّى في يديّا
عودي إلى دنياكِ واجني
زهرَها غضاً زكيَّا
يكفيكِ مني، أن تكوني
في فمي لحناً شقيّا!

لنا الحب. . .
١٩٣٧

لنا الحبّ والكأس المزهر
وللناس... منا الصدى المُسكرُ
مشينا معاً، وجَناحُ الرضى
يواكبنا ظلّه الخيّرُ
وخلفَ ملاعبنا أنجمٌ
على شوقِ أوبتنا تسهرُ
غداً، ينقل الكون ألحاننا
ويسمر في ذكرنا السّمرُ
فميلي نغبْ في شذا ضمةٍ
يرفّ عليها المدى المقفرُ
أخاف انفلات الرؤى الباسمات
إذا خلع الجفن والمحجرُ
فأحلامنا... يقظات الحياة
ووحي النفوس التي تشعرُ
ونحن من الأزل المطمئن
تبشِّر في يومنا الأعصر

مظاهر. . .
١٩٤٠

هي جارتي، لم أدرِ ما تُسّمى!
هي للجمال الفتنةُ العُظمى!
يبدو على إشراقِ بسمتِها
ترفُ الصبا، وملاوةُ النّعمى!
تتحوّلُ الأبصارُ خاشعةً
عنها، وتُشبع طَيفها لثما!
فسألتُ... قالوا بدعة عجب
ضقنا بحلّ رموزَها فهْما
عذراء نفح الطُهر خطوتها
فكأنها من عالمٍ أسمى
جادَ الزمانُ لها بأكرمِ ما
في راحتَيْه، فما شكت همّا
وسعت لها الدنيا السموح فلو
شاءت لمسّت كفّها النجما

* * *

وتوالت الأيام... لم أرها
فسألت... قالوا... عبّت السُّما!

النسوة الثلاث. . .
١٩٣٩

أختاه! هذا موقدٌ جائعٌ
يفتحُ شَدْقَيْهِ فلا تَنفري
لا تُشرقُ العلياءُ إلا على
لسانِه المُندلِعِ النّيرِ
فامضي معي نُطْعِمُه ما يشتهي
من روض هذا البشر المثمرِ
فنحن بنتا حلمٍ غابرٍ
تَهفو إليه أعينُ الأعصرِ
هبي عثرنا بعد ما خوّضتْ
أقدامنا في نبعة الكوثرِ
نيرون روّى لهوَه قبلنا
على نشيدِ اللّهبِ المُسكرِ

* * *

هناك خلف الموقد المسعرِ
إمرأةٌ داميةُ المنظرِ
تغزلُ خيطَ الكفنِ الأحمرِ!!

كانت. . .
١٩٤١

عجبتَ من منزلي، في رأس شاهقةٍ
بعيدةٍ عن مدى الضوضاءِ والصخبِ!
أقمتُه ملجأً لي، بعدما لعِبَتْ
أيدي الليالي، بأبراد الصبا القُشُبِ
أراكَ مضطرباً يا صاحبي... ومتى
وقفتَ مني، جريئاً غير مضطربِ؟
كيف اهتديت إليه؟ ربما عثرَتْ
رجلاكَ في دربِهِ بالشوكِ والعشبِ!
يطيبُ لي أن أرى صحبي به وأرى
على محاجرهم أشباحَ منقلبي!
ما زارني فيه مَن حنّت مودّته
إلا ترنّحت من سُكرٍ ومن طربِ
دقّات خافقه ما زلتُ أحسبها
من رعشة الحب لا من رعشة التعبِ!

ليلة...
١٩٤٦

حسناء، هذا ليلي المُمتع
فَلْتَطوهِ في شوقِها الأضلعُ
ما كُنت أستنزف وجدي على
إغرائه، لو أنه يرجعُ
فلتخفق النعمى! على ضمةٍ
لا أرتوي منها ولا أشبعُ
وَليسْكَرُ النّجم على نفحةٍ
يَنفثها من طيبك المضجعُ
أعطيتني أكرم ما صاغه
وهمٌ، وما غنى به مطمعُ
فما لقلبي في غواياته
يرنو إلى جرحي ولا يخشعُ
ما اعتاد أن أروي له غلةً
إلا إذا كان لي المنبعُ!
حسناء! هذي كبرياء الهوى
أهوت على أشلائه تدمعُ
لن أسأل الكأس على راحتي
من يا ترى بعدي بها يجرعُ
حسبي من الزنبق أن لا أرى
من أي شلوٍ في الثرى يرضعُ
فاستمهلي الليل، فليَ في غدٍ
ما يُبعد الظلّ الذي أتبعُ

في موسم الورد...
١٩٤٦

هنا! في موسم الورد
تلاقينا بلا وعدِ
وسرنا في جلال الصمت
فوق مناكب الخلدِ
وفي ألحاظنا جوعٌ
على الحرمان يستجدي!!
وأهوى جيدك الريّان
متكئاً على زندي
وشَعرك مائج، والطيبُ
يفضح فجوة النهدِ
فكنّا غفوةً خرساء
بين الخد والخدِ!

* * *

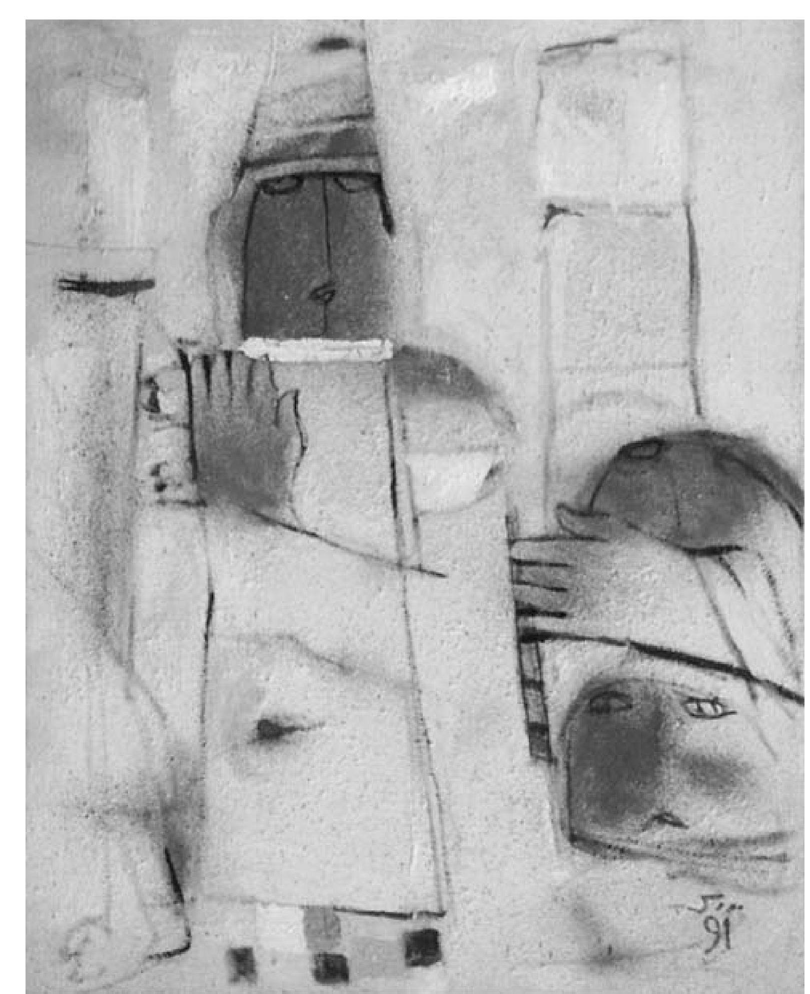
مُنى قلبي، أرى قلبك
لا يبقى على عهدِ
أسأل عنك أحلامي
واسكتها عن الردِّ
أردتِ، فنلتِ، ما امّلتِ،
من غزي ومن مجدي
فأنت اليوم ألحاني
وألحان الدّنى بعدي!
فما أقصره حبّاً
تلاشى وهو في المهدِ
فهذا الورد ما ينفكُ
فوق غصونه المُلْدِ
ولم أبرح، هنا، في ظلّ
هذا الملتقى، وحدي!

امرأة وتمثال...
١٩٤٦

حسناء، هذي دميةٌ
منحوتةٌ من مَرمرِ
طلعت على الدنيا
طُلوع السّاحر المستهترِ
وسَرَت إلى حرم الخلود
على رقاب الأعصرِ!
عريانةٌ سَكرَ الخيالُ
بعُريها المتكبرِ
أبداً ممتعةٌ بينبوع
الصّبا المتفجّرِ
نرنو إليها في وجوم
الحالِم المُستَفسرِ
والطرفُ بين منقّلٍ
في سحرها ومُسمّرِ
وشّى بها ابداع ناحتها
الجمالَ العبقري
ومضى، وبنت رؤاه
لم تكبر، ولم تتغيّرِ
حسناء، ما أقسى فجآت
الزمان الأزورِ
أخشى تموت رؤاي إن
تتغيّري ... فتحجّري!!

البرعم الأخضر...
١٩٣٨

أفقتِ مع الحلم المسفرِ
على نغم شارد مسكرِ
تدفَّق يسكب في قلبك الطريّ ـ
ربيع الحياة الطري
فألفيتِ دنياكِ غير التي
درجت عليها ولم تشعري
مفاتنُ ريّا الجمال الحييٍّ
مجنَّحةٌ بالهوى المبكرِ
وأنت عليها انفلات الحبيس
من الطيب في البرعم الأخضر!
رويدك لا تزحمي بالرؤى
خيالك يا عفَّة المئزرِ
أنا حفنةٌ من رماد المنى
على مجمر الزمن الأزورِ
هويتك في غصة المؤمنين
إلى جرعة من فم الكوثر!
وفوق جفوني عصاب الذهول
فلم أتبصرْ ولم أبصرِ
ظلمتكِ ظلم انهيار الخيال
على يقظة الشاعر العبقري
دعيني وحيداً أزجّي الخطى
على مخصب الوهم والمقفرِ!



مواكب... عرس المجد...

١٩٤٧

يا عروس المجد، تيهي واسحبي
في مغانينا ذيولَ الشهبِ
لن تريْ حفنة رمل فوقها
لم تعطَّر بدما حرّ أبي
درجَ البغيُ عليها حقبةً
وهوى دونَ بلوغ الأربِ
وارتمى كبر الليالي دونها
ليّنَ النابِ، كليلَ المخلبِ
لا يموتُ الحق، مهما لطمتْ
عارضيه، قبضةُ المغتصب

***

من هنا شقَّ الهدى أكمامه
وتهادى موكباً في موكبِ
وأتى الدنيا فرفَّتْ طرباً
وانتشتْ من عبقه المنسكبِ
تغنّتْ بالمروءات التي
عرفتها في فتاها العربي
أصيدٌ، ضاقتْ به صحراؤه
فأعدَّته لأفقٍ أرحبِ
هبَّ للفتح، فأدمى تحته
حافرُ المهر جبينَ الكوكبِ!!
وأمانيه انتفاضُ الأرض من
غيهب الذلّ، وذلّ الغيهبِ
وانطلاق النور حتى يرتوي
كل جفن بالثرى مختضبِ
حلمٌ ولّى، ولم يُجرح به
شرفُ المسعى ونبل المطلب!

***

يا عروس المجد، طال الملتقى
بعدما طال جوى المغترب
سكرتْ أجيالنا في زهوها
وغفتْ عن كيد دهرٍ قُلّبِ
وصحونا، فإذا أعناقنا
مثقلات بقيود الأجنبي
فدعوناكِ فلم نَسمع سوى
زفرةٍ من صدرك المكتئب
قد عرفنا مهرك الغالي فلم
نُرخص المهرَ ولم نحتسب
فحملنا لك إكليل الوفا
ومشينا فوق هام النوبِ
وأرقناها دماء حرّة
فاغرفي ما شئت منها واشربي!
وامسحي دمع اليتامى وابسمي
والمسي جرح الحزانى واطربي
نحن من ضعف بنينا قوةً
لم تلن للمارج الملتهب
كم لنا من ميسلون نفضتْ
عن جناحيها غبار التعبِ
كم نَبتْ أسيافنا في ملعبٍ
وكَبَتْ أفراسنا في ملعبِ
من نضالٍ عاثرٍ مصطخبٍ
لنضالٍ عاثرٍ مصطخبِ
شرفُ الوثبة أن تُرضي العلى
غُلِبَ الواثبُ أم لم يُغلبِ!!

***

فالتفتْ من كوّة الفردوس يا
فيصل العلياء وانظر واعجبِ
أترى كيف اشتفى الثأرُ من
الفاتح المسترق المستلبِ
وطوى ما طال من راياته
في ثنايا نجمه المحتجبِ
ما نسينا دمعة عاصيتها
في وداع الأمل المرتقبِ
رجفتْ بالأمس سكرى ألمٍ
فأسلها اليوم سكرى طربِ!
يا لنعمى خفّ في أظلالها
ما حملنا في ركاب الحقبِ
أينما جالَ بنا الطرف انثنى
وطيوفُ الزهو فوق الهدبِ
هذه تربيتنا، لن تزدهيَ
بسوانا من حُماةٍ نُدُبِ
فلنصن من حَرمَ الملك لها
منبرَ الحقد وسيفَ الغضبِ
ولنُسل حنجرة الشدو بها
بين أطلال الضحايا الغيّبِ
ضلّت الأمة إن أرختْ على
جرحِ ماضيها كثيفَ الحجبِ!

***

ما بلغنا بعدُ من أحلامنا
ذلك الحلمَ الكريم الذهبي
أين في القدس ضلوعٌ غضةٌ
لم تلامسها ذنابى عقربِ؟
وقف التاريخ في محرابها
وقفة المرتجف المضطربِ
كم روى عنها أناشيدَ النهى
في سماع العالم المستغربِ
أي أنشودة خزيٍ غصّ في
بثها بين الأسى والكربِ
لأبناء السبايا ركبوا
للأماني البيض أشهى مركبِ
ومتى هزّوا علينا رايةً
ما انطوت بين رخيص السلَبِ؟
ومَن الطاغي الذي مدّ لهم
من سراب الحق أوهى سَبَبِ
أو ما كنا له في خطبه
معقلَ الأمنِ وجسرَ الهربِ
ما لنا نلمح في مشيته
مخلبَ الذئب وجلدَ الثعلبِ
يا لذلّ العهد إن أغضى أسىً
فوق صدر الشرف المنتحبِ!
يا روابي القدس، يا مجلى السنا
يا رؤى عيسى على جفن النبي
دون عليائك في الرحب المدى
صهلةُ الخيل ووهج القضُبِ!
لَمّت الآلام منا شملنا
ونمتْ ما بيننا من نسبِ
فإذا مصرُ أغاني جلّقٍ
وإذا بغداد نجوى يثربِ
ذهبتْ أعلامها خافقةً
والتقى مشرقها بالمغربِ
كلما انقضّ عليها عاصفٌ
دفنتْه في ضلوع السحبِ
بورك الخطبُ، فكم لفّ على
سهمه أشتات شعب مغضبِ

***

يا عروس المجد حسبي عزة
أن أرى المجد انثنى يعتز بي
أنا لولاهُ لما طوّفتُ في
كل قفرٍ مترامٍ مجدبِ
رُبّ لحنٍ سال عن قيثارتي
هزّ أعطاف الجهاد الأشيبِ
لبلادي ولروّاد السنا
كلّ ما ألهمتني من أدب

بلادي . . .
١٩٧٤

هيكلَ الخلد لا عَدَتْك الغوادي
أنت إرث الأمجاد للأمجادِ
بوركتْ في هواك كلُّ صلاةٍ
صعّدتها حناجر العبادِ
منك هبَّتْ سُمر الرجال وأدمتْ
حاجب الشمس بالقنا الميَّادِ
والمروءات، كلّ ما حملتها البيدُ
في طول سيرها من زادِ
هتفتْ بالجهاد حتى تشظّى
كل تاج على صخور الجهادِ
وإليك انتهى مطافُ علاها
دافقَ الخير مشرقَ الاسعادِ
فتلمسْ أرجاءك الزُّهرَ تلمحْ
كل قبر بها، منارَ المعادِ!

* * *

هيكل الخلد، جئتُ أسكب نجواك
رؤىً في محاجر الآبادِ
في محاريبك الوضيئة تغفو
كبرياءُ الآباء والأجدادِ
قد تساوى لديك حالبُ شاةٍ
في مجال الفدا وسيدُ نادِ
أي قبر وقفتُ أرنو إليه
والأسى مالك عليّ قيادي
لم يزل تربُه يرفّ نديّا
بين شتَّى كمائم الأورادِ
إن سعداً هنا! فيا مقلة
العز أفيقي على صلاة الحِدادِ
وانظري عِليةَ الرجال يشدّون
بأيديهم على الأكبادِ
ما تبقّى من أمسه غير طيف
رائح في رؤى الحياة وغادِ
وغداً تهدأ الشجون، ويخبو
لاعج الشوق في الضلوع الصوادي
وتمر الأجيالُ سائلةً؛ من كان
سعدٌ، وما له من أيادي
من تراه بين الملوك، وبين
الفاتحين الغزاة والقوّادِ
أيها السائلون، كم زُيّف الدر
وأمسى قلائد الأجيادِ!
كم قبورٍ تنفس الطيبُ منها
ما حدا باسمها على الدهر حادِ!
ربّ ثاوٍ وراءها، كان في
قافله الحق، خير ساعٍ وفادِ
حمل الجرحَ صامتاً مطمئناً
وأتى ربّه على ميعادِ!
ودم المؤمنين ما ضاع عند الله
أجراً، إن ضاع عند العبادِ!!
هكذا افتضّ آيةَ العمر سعدٌ
وطواها مع الأماني البِدادِ
تلك أيامه الخضيبة بالأرزاء
كانتْ عرائس الأعيادِ!
قارع البغي وهو أعزلُ إلا
من سلاحين: نخوةٍ واعتدادِ
ما نسيناه يوم جيء بابراهيم
بين الحرب والأجنادِ
وتلقته سدَّةُ العدل، خجلى
منه، من جرحه، من الأصفادِ
وهِجان القضاة، تلع في أحداقها
الزرق، مِدية الجلادِ
سألوه عن صحبه فأبى أن
يُقفر الغابُ من حمى الآسادِ
فسرى الصمت، يحبس النفسَ المتعبَ
في رهبة القضاء البادي
وإذا زأرةٌ يموج لها الجمع
وتدوي صخابة الارعادِ
وإذا سعدٌ الأبيّ مطلٌّ
ثابتَ العزم مطمئنَ الفؤادِ
صاح: إنّي فِرندُ كل حسامٍ
شهرته كفّ العلى للجلادِ
كيف أغفو على فراش الأقاحي
وهنانو على فراش القتادِ؟
أنا زوّدته بما أبقت الأيامُ
فينا، من عُدّة وعتادِ!
فاغسلوا ذلّ كيدكم بدمائي
واحملوا هامتي على الأعوادِ
حبذا الموت إن رأيت على
موتي حياةً لأمتي وبلادي!
وقفة، ردت الذئابَ سخالاً
وثنتها عن غيها المتمادي
هكذا تصمد النسور، وتذري
بالسوافي، على ذرى الأطوادِ!
وتجلَّى من بعدها يتهادى
باختيال على الأذى واتئادِ
زهوةٌ في تواضعٍ، وإباء
في خشوع، ورقة في عنادِ
من ميادينَ نزّع بالأماني
لميادين خضّبٍ بالعوادي
رُبّ ليل أقام في غيهب السجن
ولم يدر ما خيال الرقادِ
وجراح أثار، والشرف المعبود،
راضٍ، يلفها بضمادِ
وإذا ما انتهى إلى القمة الشماء
مستطلعاً حلاءَ الأعادي
شاء أن يطبق الجفون على
أكرم حلم بها وأشهى مرادِ!
وغفا تاركاً على الأرض ذكرى
سلمتْ من تخرّص الحسادِ!!

* * *

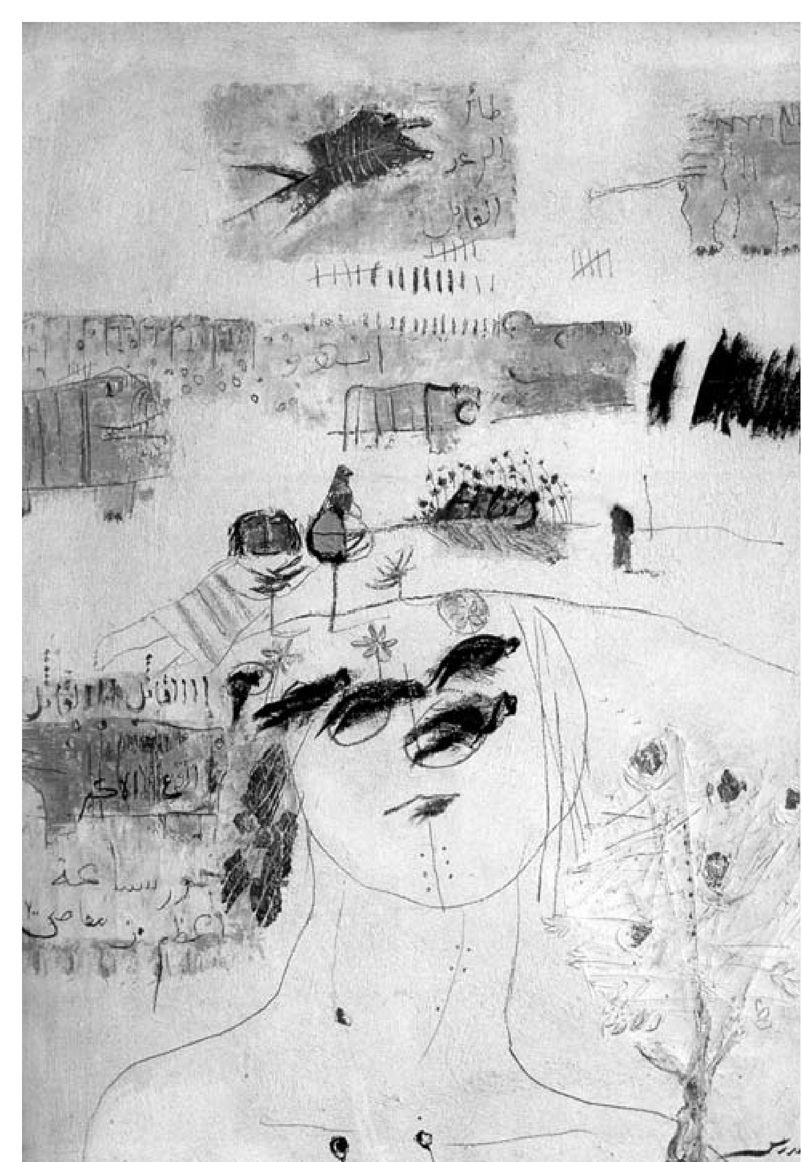
سعد، يا سعد، إنه لنداءٌ
من حنين، فهل عرفت المنادي
ربما غاب عن خيالك طيفي
بعد طول الجفا وطول البعادِ!
أذهلتْني عنك انتفاضةُ روحي
في سماء علوية الأمدادِ
فترنحت أحسب السحب تهوي
تحت مهدي والنجم فوق وسادي
أنا يا سعد، ما طويت على اللؤم
جناحي ولا جرحتُ اعتقادي
شهد الله، ما انتقدتك إلا
طمعاً أن أراك فوق انتقادِ
وكفى المرء رفعةً أن يُعادى
في ميادين مجده، ويعادي!!!

* * *

ياحبيب الخلود طوبى جفون
نعمت بالكرى ليوم التنادِ
كيف لو فُتّحتْ ولاح لها عُرس
الأماني مؤزراً بالسوادِ
ملء سمع الجهاد صيحة ثأرٍ
تنفض الجمر، من خلال الرماد
غمزتْ نخوة البلاد، فهبّت
تتلظى حواضراً وبوادي
وتنادت حماتُها لروابي القدس
محمولةً على الأحقادِ
أترى الحق، كيف أغضى حياءً
ولوى جيده كئيب الفؤادِ
شتمته تلك الشفاهُ التي كانت
تغنّي بحمده، وتنادي
كم جراحٍ على اسمه السمح سالتْ
في رحاب الأغوار والأنجادِ
أطفأتْ غصةَ الضلال، وبلّت
غلة الإثم، وهو حرّان صادِ
وإذا جُوّع الطغاةُ تراءَوا
في مسوح النُّساك والزهّادِ
أين عهد نامت عليه عيون الشرق
جذلى في العاصفات الشدادِ
ما لنا كلما هتفنا به ارتدَّ
صداه كصيحةٍ في وادِ!
لا تُوفّى العهود إلا إذا ما
كتبت بالدماء، لا بالمدادِ!

* * *

أي فلسطين، ما العروبة لولا
قبس من سنا النبوة هادِ
كل رف منها لهاة من العلياء
سالت كريمة الإنشاد
كيف لا تمشق النجوم ذياداً
عن حمى السيد المسيح الفادي
ان تاجاً يلفُّهُ حُلم صهيون
نضيداً على جبين الفسادِ
أقسمت أن تفضّه خرزاتٍ
وتوشي به سروج الجياد!!
هكذا عاودت بلادك يا سعد
الليالي، بكلّ واري الزنادِ
كلما أطلقت حمامة سلمٍ
جاذبتها حبائل الصيادِ
إنه سنة الوجود، فشعب
لبقاء، وآخرٌ لنفادِ
فعلى الحادثات أن تتوالى
وعلينا الوقوف بالمرصادِ



محمد...

١٩٤١

أي نـجـوى مـخضـلـة الـنـعـمـاءِ
ردّدتـهـا حـنـاجـرُ الصـحـراءِ
سَـمـعـتـهـا قـرش فـانـتـفضت
غضبى وضجت مشبوبة الأهواءِ
ومشت في حِمى الضّلال إلى
الكعبة مشيَ الطريدة البلهاءِ
وارتـمـت خَـشِـعـة عـلـى اللاّت
والعزَّ وهزّتْ ركنيهما بالدعاءِ
وبَـدَت تَـنـحـرُ الـقـرابيـنَ نـحـراً
فـي هـوى كـل دُمـيـة صـمـاءِ
وانثنتْ تضربُ الرمالَ اختيالا
بـخـطـىً جـاهـلـيـة عـمـيـاءِ

* * *

عربدي يا قريشَ وانغمسي ما
شئت في حماة المنى النكراءِ
لن تزيلي ما خَطّه اللهُ للأرض
ومـا صـاغَـهُ لـهـا مـن هـنـاءِ
شاءَ أن يُنبت النبوّة في القفر
ويُـلـقـي بـالـوحـي مـن سـينـاءِ
فسلي الربعَ ما لغربة عبدالله
تـطـوى جـراحـهـا فـي الـعـزاءِ
ما لأقيال هاشم يخلع البشرُ
عـلـيـهـا مَـطـارف الـخـيـلاءِ
أُنظريـهـا حول اليتيم فراشاً
هَـزجـاً حـول دافـق الـلألاءِ
وأبو طالبَ على مذبح الأصنام
يَـزجـي لـه ضـحـايـا الـفـداءِ
هو ذا أحمد فيا منكب الغبراء
زاحِـمْ مـنـاكـب الـجـوزاء

* * *

بسم الطفل للحياة وفي جنبيه
سـرّ الـوديـعـة الـعـصـمـاءِ
هبَّ من مـهـدِه ودبّ غـريـبَ
الدار في ظل خيمةٍ دكناءِ
تتبارى حليمةٌ خلفه تعدو
وفي ثَـغْـرِهـا افـتـرار رضـاء
عَرفت فيه طلعةَ اليُمن والخَيرِ
إذا أَجْـدبت رُبـى الـبـيـداءِ
وتجلّى لـهـا الـفـراقُ فـأَغضت
في ذهـول وأجهشت بالبكاء

* * *

عـاد لـلـربـع أيـنَ آمـنـةٌ
والحبُ والشوقُ في مجال اللقاء
ما ارتوت منه مقلة طالما شقَّت
عـلـيـهِ سـتـائـرَ الـظـلـمـاء
يا اعتداد الأيتام باليتم كفكف
بـعـد كـل دمـعـةٍ خـرسـاء

* * *

أحمدٌ، شبّ يا قريش فتيهي
في الغوايات وأسرحي في الشقاء
وانفضي الكفّ من فتى ما تردّى
بـــرداء الأجــداد الآبـــاء
أنتِ سميته الأمين وضَمخت
بـذكـراه نـدوةَ الشـعـراء
فدعي عمه فما كان يغريه
بـمـا فـي يـديك مـن إغـراء
جاءه متعبَ الخطى شاردَ الآمال
مـا بـيـن خـيـبـةٍ ورجـاء
قال هوّنْ عنك الأسى يا ابن عبد
الله واحقنْ لنا كريمَ الدماء
لا تسفّه دنيا قريش تُبوّئك
مـن الـمـلك ذروة الـعـلـيـاء
فبكى أحمدٌ، وما كان من يبكي
ولـكـنـهـا دمـوعُ الاباء
فـلـوى جـيـدَه وسـار وئـيـداً
ثـابتَ الـعـزم مُثقل الأعباء
وأتى طودَه الموشّح بالنور
وأغـفـى فـي ظـل غـارِ حِـراء
وبجفنيه من جلال أمانيه
طـيـوفٌ عُـلـويـة الاسـراء

وإذا هاتف يصيح به «إقرأ»
فَـيـدوّي الـوجـودَ بـالأصـداء
وإذا في خشوعه ذلك الأميُّ
يـتـلـو رِسـالـة الإيـحـاء
وإذا الأرض والسماء شفاهٌ
تـتـغـنـى بـسـيـدِ الأنـبـيـاء

* * *

جَمعت شَمْلها قريش وسلّت
لـلأذى كـلَّ صـعـدةٍ سـمـراء
وأرادتْ أن تنقذَ البغيَ من أحمد
فـي جُـنـح لـيـلـة لـيـلاء
ودرى سـرَّهـا الـرهـيب علـيٌّ
فاشتهى لو يكون كبشَ الفداء
قال: يا خاتم النبيين أمستْ
مـكـة دار طـغـمـةٍ سـفـهـاء
أنـا بـاقٍ هـنـا ولست أُبـالـي
ما أُلاقي من كيدها في البقاء
سيروني على فراشك والسيف
أمـامـي وكـل دنـيـا ورائـي
حَسْبيَ اللهُ في دروب رِضاه
أن يـرى فـيّ أول الشـهـداء
فـتـلـقـاه أحـمـدُ بـاسِمَ الـثـغـرِ
عليماً بما انطوى في الخفاء
أمرَ الوحيُ أنْ يَحُثّ خطاهُ
في الدجى للمدينة الزهراء
وسرى واقتفى سراه أبو بكر
وغـابـا عـن أعـيـن الـرقـبـاء
وأقاما في الغار والملأ العلويّ
يـرنـو إلـيـهـمـا بـالـرعـاء
وقـفـتْ دونَـه قـريش حـيـارى
وتـنـزت جـريـحـة الـكـبـريـاء
وانثنت والرياح تجأر والرمل
نـثـيـرٌ فـي الأوجُـهِ الـربـداء

* * *

هلّلي يا ربى المدينة واهمي
بـسـخـيٍّ الأظـلال والأنـداء
واقذفيها اللهُ أكبرُ حتى
يـنـتشي كـل كـوكـبٍ وضّـاءِ
وأجمعي الأوفاء إن رسول الله
آت لصـحـبـه الأوفـيـاء...

* * *

وأطلّ النبيّ فيضاً من الرحمة
يروي الظّماء تلو الظماء
والصلاة الطهورُ عاليةَ الأصداءِ
جوّابة بكل فضاء
هزّت الجاهليّ فاهتز إنساناً
نجيَّ الرسالةِ العذراء
وقريشُ في يقظةِ الحقدِ وهجٌ
من عنادٍ ولفحةٌ من عداء
كلما مرَّ مؤمنٌ بحماها
قَذَفَتْهُ بطعنةٍ نجلاء
خسة تتركُ المروءةَ غضبى
وتردُّ الحُلومَ صرعى حياء
ضق ذرعاً بها النبيُّ فنادى
فإذا الصّافنات رجعُ النداء
وإذا الصيدُ فوقها يحملون الشهبَ
أسيافَ نخوةٍ شماء
وتخطّاهم النبيُّ، فساروا
في ركاب الهدى إلى الهيجاء
لم يَرقْهُ سفكُ الدماء، ولكن
عَجزَ الحُلم في انتزاع الداء
دَرَنُ النفس ليس يُمحى إذا لم
تجرِ فيه مباضعُ الحكماء
وإذا الحلم لم تجد فيه بناءً
فأكرم بالسيف من بنّاء

* * *

وقف الحقُ وقفةً عند بدرٍ
شحذت في الغيوب سيفَ القضاء
ووراء التلال ركبُ أبي سفيان
يحمي سرية الفيحاء
وقريشٌ في جيشِها اللّجب تسعى
بين وهجِ القنا وزهو الحداء
بلغت منحنى القليبِ ولفّتْ
مَن عليه ببسمة استهزاءِ
وأرادت أكِفّاءها فتلقّاها
عليٌّ ذؤابة الأكفاء
جزّ بالسيف عنق شيبة وارتد
إلى صحبه خضيبَ الرداء
فطغى الهول والتقى النّد بالنّدِ
وماجا في لجّة هوجاء
وعيونُ النبي شاخصة ترقُصُ
في هُدبها طيوفُ الرجاء

ودنت منه عُصبة الإثم والموت
على راحها ذبيح عياء
فرماها بحفنة من رمال
ورنا ثائر المنى للعلاء
ودعا «شاهت الوجوهُ» فيا أرض
اقشعرِّي على اختلاج الدعاء

* * *

قُضي الأمرُ يا قريش فسيري
للحمى واندبي على الأشلاء
واحذري الطيب أن يمسّ غلاماً
في نديٍّ أو غادةً في خباء
وأعدّي للثأر حُمر السرايا
واحشديها للوثبة الرعناء
يومُ بدرٍ يومٌ أغرّ على الأيام
باقٍ إن شئت أو لم تشائي
ركّز اللهُ فيه أسمى لواءٍ
وجثا الخلد تحت ذاك اللواء

* * *

طُوي الحول وانطوى أُحدٌ فيه
ولم تحملي سوى الضراء
أي ذلٍّ على جُفونك يَعوي
وركاب النبي ملء العراء
حلّ في مكة ووجهك في التراب
خضيبٌ ووجهه في السماء
ومشى للصلاةِ والكعبة السّمحة
في غمرةٍ من النعماء
وتَعالى التكبيرُ يا سدةَ الأصنام
ميدي ويا علوج تنائي
واشهدي يا سماء أن رسولَ اللهِ
أوفى بالعهدِ خَير وفاء

* * *

وَجَمَ المؤمنون في رهبة الظن
وناموا على رُؤى سوداء
وتمطّى على المدينة صُبحٌ
كاسِف الوهجِ قاتم الأفياء
أحمد ودَّع الحياة فيا فاروق
أقصرْ ما فيك من غلواءِ
كلُّ حي رَهن الفَناء وتَبقى
آية الله فوق طوق الفناء

* * *

يا نجيَّ الخلود تلك سراياك
على كل ربوةٍ عناءِ
حَملتَ صَبوةَ الشّآم وفضّتها
أريجاً على فم الزوراءِ
وشجتها غرناطةٌ فشفتْ منها
فؤاد الصبيَّة الحسناءِ
فإذا الأرض في عرائسك الأبكار
مغنى سنىً ومجلى سناءِ
حلم وانقضى فيا للمناجي
زُهرَ أطيافه ويا للرائي

* * *

يا عروسَ الصحراء ما نبتَ المجد
على غير راحة الصحراءِ
كلما أغرقتْ لياليها في الصمت
قامتْ عن نبأة زهراءِ
وروتها على الوجود كتاباً
ذا مضاء أو صارماً ذا مضاءِ
فأعيدي مجد العروبة واسقي
من سناه محاجرَ الغبراءِ
قد تَرفُّ الحياة بعد ذبولٍ
ويلين الزمان بعد جفاءِ